الميزان
الصحف - الصراط
أنواع الشفاعات

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم   الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور   الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

ماهر أحمد الصوفي
الميزان - الصحف - الصراط - أنواع الشفاعات
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
أشراط الساعة العلامات الصغرى والوسطى

ماهر أحمد الصوفي
أشراط الساعة العلامات الكبرى

ماهر أحمد الصوفي
الموت وعالم البرزخ

ماهر أحمد الصوفي
القبر وقيام الساعة

ماهر أحمد الصوفي
البعث والنشور

ماهر أحمد الصوفي
الحساب والعرض على الله سبحانه جلّ جلاله

ماهر أحمد الصوفي
الميزان - الصحف - الصراط - أنواع الشفاعات

ماهر أحمد الصوفي
بداية يوم القيامة

ماهر أحمد الصوفي
النار أهوالها وعذابها

ماهر أحمد الصوفي
جنان الخلد

سلسلة
موسوعة الآخرة

الميزان الصحف - الصراط

أنواع الشفاعات

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم　　الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور　　الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

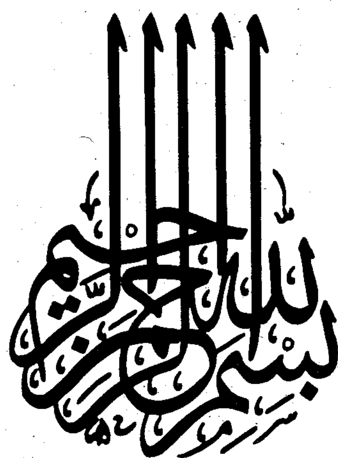
٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-341-1


بسم الله الرحمن الرحيم




قدّم لموسوعة الآخرة

كلٌ من السادة الأفاضل

١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة




أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس	: البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع	: الحساب والعرض على اللّٰه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن	: ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩]

ويقول تعالى:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤]

ويقول تعالى:

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

[سورة الزمر، الآية: ٤٤]

حديث شريف:

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان اللّه وبحمده، سبحان اللّه العظيم ».

[رواه البخاري]

وقال رسول اللّه ﷺ:

« اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فِرقان من طير صَواف تحاجَّان عن أصحابهما ».

[رواه مسلم]

وقال رسول اللّه ﷺ:

« يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرَضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعندها تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ».

[رواه أحمد وابن ماجه والترمذي]

الإهـداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾.

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ:

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا . . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور

محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.



ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنِّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللّه بها عليه، فأسأل اللّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين
وأفضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين . .

. . في هذا الجزء من الموسوعة تتبيَّن النتائج وتتضح معالم العمل، وتظهر التقوى في كامل صورها، وكذلك الفجور في كامل صوره. . ففي الجزء السابع كان العرض على اللَّه سبحانه ثم حسابه للخلائق جميعاً. . . ولكن النتائج لم تظهر بعدُ، ونتيجة الامتحان ينتظرها المرء عند الميزان، وهو من المواطن الرهيبة حتى يعلم الإنسان هل يثقل ميزانه أم يخف، وكذلك عند استلامه كتابَه حتى يعلم هل يستلم بيمينه أم بشماله أم من وراء ظهره؟؟

. . إنها مواقف النتائج، التي يأمل بها الجميع رحمة اللَّه سبحانه وشفاعة رسول اللَّه ﷺ.

المؤمنون في كل مواقف يوم القيامة تشملهم رحمة اللَّه سبحانه، والكافرون في كل مواقف يوم القيامة يشملهم غضب اللَّه سبحانه، فلا شفاعة لهم في الحساب ولا عند الميزان ولا عند استلام الصحف، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، فقد حرَّم اللَّه سبحانه أي شفاعة فيهم، ذلك أن اللَّه سبحانه حرَّم الجنة على الكافرين والمشركين.

في هذا الجزء من الموسوعة تظهر النتائج التي ينتظرها أهل المحشر على أحرّ من الجمر، والذي ينتظر نتائج امتحانه فإنه يكون

مشدوداً وبحالة متوترة وبنفس خائفة، أمله النجاح وعُدَّته الرجاء وقلبه معلَّق بالنجاة، ولكن لا ينفع نفساً شيءٌ لم تأت اللَّه بقلب سليم.. وسيخيب كل ظالم ومتجبر اعتدى على حرمات اللَّه وظلم عباد اللَّه في الدنيا.. كلٌّ سيأتي ربه يوم القيامة فرداً، لا معين ولا شفيع ولا سند، الجميع يعرضون على اللَّه سبحانه لا تخفى منهم خافيةٌ.. لقد ولّى زمن الدنيا الذي فيه التخفي والرياء والمداهنة والنفاق.... وفيه الصدق والحق والعمل الصالح.. فلا بد حتى يثقل ميزاني وآخذ صحيفتي في يميني أن أكون في يوم القيامة قد جئت بعمل يرضي اللَّه سبحانه، مسطور في صحيفتي، فالإيمان باللَّه والأعمال الصالحة هي المنجية، وهي التي تثقل ميزاني وتكون سبباً في استلامي لصحيفتي بيميني.. هناك عند النتائج سيفرح كلٌّ من الفائزين ويقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه والذي خسئ وخسرَ يقول: يا ليتني لم أُوتَ كتابيه ولم أدر ما حسابيه، ويتمنى أن يقضى عليه فيموتَ، ويصرخ فيقول: يا ليتها كانت القاضيةَ، هناك عند الميزان واستلام الصحف سيعلم الكافرون والمشركون أيَّ منقلب سينقلبون، وأي سوء عذاب ومهانة بانتظارهم، وسيعلم المؤمنون أي كرامة وعز ورفعة تنتظرهم، لقد كان الكافرون في الدنيا يضحكون من المؤمنين، واليوم المؤمنون هم الذين يضحكون من الكافرين.

في هذا الجزء سترى كيف يُلقى ويُرمى الكافرون والمشركون وما كانوا يعبدون في الدنيا رميَ مذلةٍ وإلقاءَ مهانة في جهنم.. نعم إنهم يتساقطون أمماً أمماً في نار جهنم، كلما جاءت أمة لعنت أختها حتى يدَّاركوا فيها جميعاً.

.. وفي هذا الجزء المواطن الرهيبة المفزعة والمخيفة ـ مواطن المرور على الصراط الذي هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف.. هذا

الصراط (الجسر) الذي يضربه اللَّه سبحانه على ظَهراني جهنم ليعبر عليه المؤمنون فقط.

الصادقون منهم والمنافقون، وأهل التقوى منهم وأهل المعاصي... فينجي اللَّه سبحانه المؤمنين الصادقين، وأما المنافقون والعصاة وأهل الكبائر فإنهم يتساقطون في جهنم، بعد أن تتخطفهم الشوك والخطاطيف والكلاليب ذلك بما نافقوا وعصوا اللَّه سبحانه.. إنه موقف عظيم، فمن المؤمنين ناجٍ لا يصيبه شيء يمرّ كالريح، ومنهم من تخدشه تلك الكلاليب ولكن لا توقعه، فيمر على الصراط وقد امتلأ خوفاً وخدوشاً، ومنهم من يهوي بما يحمل من نفاق ومعصية، لا يتكلم أحد على الصراط من شدة الهول ولا يتكلم إلا الرسل وقولهم: اللّهم سلّم سلّم.

.. وتظهر في نهاية الجزء الشفاعات وأنواعها، وأولها من رسول اللَّه ﷺ في أمته ثم يأذن اللَّه بالشفاعة للأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء ولعامة المؤمنين.

... ومع هذه الأحداث وما فيها نرحل في عالم الميزان والصحف والصراط والشفاعات، وعلى اللَّه قصد السبيل.

الفصل الأول

- حساب المشركين والكافرين.

- الدلائل على حساب المشركين والكافرين:

● أولاً: إن اللّٰه سبحانه يُشْهد أعضاء المشركين والكافرين على أعمالهم.

● ثانياً: العدل الإلٰهي المطلق وإقامة الحجة على الكافرين والمنافقين.

● ثالثاً: إن اللّٰه سبحانه يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم.

● رابعاً: حساب المشركين والكافرين على التكاليف الشرعية.

● خامساً: يحاسب الكافرون ويهبطون في دركات النار بقدر كفرهم وأعمالهم.

حساب
المشركين والكافرين

مَدخل:

بينًّا في الجزء السابع من الموسوعة حال الكفار والمشركين عند عرضهم على اللَّه سبحانه، وكيف يكون الموقف مهيناً وذليلاً؟ وكيف يجثون على ركبهم طوال فترة العرض، خاشعين من الذل يخرج إليهم كل حين عنق من النار، فيخلع قلوبهم من أماكنها وتتقطع حناجرهم من الهلع، غير ما أصابها من العطش الذي جفف أفواههم وحلوقهم وأمعاءهم.

... ثم بيَّنّا أن اللَّه سبحانه بعد موقف العرض هذا يأذن ببدء فصل الحساب، وبينَّا أن أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من الأمم... فإذا ما فرغ اللَّه سبحانه من حساب المؤمنين أتقيائهم وعصاتهم.. حاسب المؤمنين من باقي الأمم الذين كانوا على إيمان وعمل صالح مع أنبيائهم.

ثم يكون حساب المشركين والكافرين.

... وفي حساب المشركين والكافرين جدل بين العلماء، فمنهم من أيَّد حسابهم واستشهدوا على ذلك بكثير من الآيات القرآنية وأحاديث رسول اللَّه ﷺ.. ومنهم من أنكر حسابهم وقال: إن المشركين والكافرين لا حساب عليهم وذلك أنه لا عمل صالحاً لهم يحاسبون عليه، وأن الكفر باللَّه سبحانه والشرك به يسلبهم الأجر

الأخروي على أي عمل صالح أو خير قدَّموه في حياتهم الدنيا لأن اللَّه سبحانه لا يقبل عملاً إلا إذا كان صاحبه قد احتسبه للَّه سبحانه، أو كان العمل والخير لوجه اللَّه تعالى على العموم مع العلم أنهم يؤجرون على خيراتهم في الدنيا فقط.

. . . فالخير والشر موجودان في الإنسان، سواء أكان مؤمناً أم كافراً أم مشركاً، لأن التوازن في الفجور والتقوى موجود في الإنسان في أصل الخلق، يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

[سورة الشمس، الآيات: ٧ ـ ١٠]

. . . فالخير والشر في الإنسان غير الإيمان والكفر. . فاللَّه سبحانه لم يجعل نفس الكافر في الفجور وحسب، ونفس المؤمن في الخير وحسب، بل كلاهما وجدت في نفسه في أصل الخلق النفس الفاجرة والنفس التقية، فالإنسان يفعل الخير ويفعل الشر حتى وإن كان كافراً، ولكن النفس لا تزكى إلا إذا آمنت باللَّه سبحانه، فالتزكية مِن أعلى مراتب الخير، وأعلى مراتب الخير هي الإيمان باللَّه سبحانه.

. . . وأما حجة الذين قالوا بأن الكافرين والمشركين لا يحاسبون من اللَّه سبحانه بل النار مأواهم وبئس المصير، فهي أن اللَّه سبحانه يقول في محكم كتابه:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

ويقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

[سورة النور، الآية: ٣٩]

ولكن هذه الآيات الكريمات لا تشير إلى أن الكافرين والمشركين لن يحاسبهم اللَّه سبحانه يوم القيامة، بل يأمر بهم إلى النار بعد العرض عليه... ولكن تشير إلى أنهم عند الحساب بين يدي اللَّه سبحانه لا يحتسب لهم أعمالهم التي قدموها وفيها شيء من الخير، طالما أنها لم تكن في سبيل اللَّه سبحانه، أو احتساباً لما عند اللَّه من الأجر، لأنهم كانوا على الكفر.

... فالرأي الصحيح بإذن اللَّه تعالى: إنهم يحاسبون، بل يحاسبون حساباً شديداً وعسيراً ويقرَّرون بكفرهم ومعاصيهم وذنوبهم وفواحشهم وكبائرهم التي ارتكبوها في الدنيا... ذلك أن فعل الخير الذي قدموه في الدنيا لم يكن احتساباً للَّه أولاً، ولم يردعهم عن معاصيهم ثانياً من شرب للخمر وأكل للربا واقتراف للزنىٰ.. لأنهم كانوا في الدنيا يفعلون الخير ولكن ربما من أجل مصالحهم الخاصة أو لمنافعهم أو ليقال كريم أو جواد، أو تجبرهم حكوماتهم على فعل هذا الخير مساهمة منهم في تحسين مجتمعاتهم الدنيوية... فكل ما قدّموه من خير لم يكن يردعهم عن المعصية.. فكم أنشئت مدارس في دول الكفر للتباهي على نفقة فلان من الناس.. وعند الافتتاح تراق وتشرب الخمور احتفالاً بهذا العمل..

وعرض أعمال الكافرين عليهم ومحاسبتهم هو لزيادة ذلهم وهوانهم، فعلاوة على كفرهم فإن اللَّه سبحانه ليس بغافل عن أعمالهم وذنوبهم التي كانت فواحش عظيمة، حرّمها اللَّه سبحانه على الخلق جميعاً فهم أهل كفر وأهل معاصٍ وأهل كبائر.. فإذا كان المؤمن أو المؤمنة قد ارتكب بعض الكبائر في حياته الدنيا، وكان على الإيمان ولم يكفر باللَّه سبحانه فإنه سوف يحاسب حساباً عسيراً،

فالكفر والشرك أصحابهما في النار خالدين فيها وأعمالهم من الفواحش والمنكرات تزيد في عذابهم في النار.

. . . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى، في خصوص حساب المشركين والكافرين:

«هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فمن قال: إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم. . ومن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب[١]».

. . . والصحيح وهو أكثر أهل الرأي أن الكفار محاسبون كما أن أعمالهم توزن وقد دل على ذلك كثير من الآيات الكريمة.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٦٢]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٦٥]

وكذلك فإن لهم عند الحساب موقف الاختصام، وردّ كل مجموعة أو أحدهم أمر كفره وشركه إلى غيره.

يقول تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

[سورة ق، الآيات ٢٧ ـ ٢٩]

وكذلك فإن اللّه سبحانه في كثير من الآيات الكريمة بيّن أنَّه سبحانه سيحكم بين الفرقاء من المشركين والكافرين وبين المؤمنين

---

(١) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام (٤ / ٣٠٧).

والكافرين، والحكم لا يكون إلا بعد الاستماع للخصوم والشهود وهذا دليل على حساب المشركين والكافرين.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١١٣]

ويقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٥٥]

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[سورة النحل، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤]

فهذه الآيات تشير إلى حكم اللَّه سبحانه يوم القيامة، وهذه الآيات ليست مخصوصة للمؤمنين بل وللكافرين والمشركين.

وكذلك يبيِّن اللَّه سبحانه أنه ينادي المشركين يوم القيامة ويسألهم: أين شركائي؟ وهم يجيبون على سؤال اللَّه سبحانه... وهذا إشارة إلى أن المشركين والكافرين في موضع السؤال وموضع الجواب.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۞ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾.

[سورة فصلت، الآيتان: ٤٧، ٤٨]

الدلائل على حساب المشركين والكافرين

وما تكلمنا فهو دليل عام.. ولكن هناك دلائل حتمية على وقوع حساب المشركين والكافرين.

أولاً: إن اللَّه سبحانه يُشهد أعضاء المشركين والكافرين على أعمالهم:

إن اللَّه سبحانه يشهد على كفر الكافرين وعملهم وشرك المشركين وعملهم أعضاءهم الجسدية، بعد أن ينطقها اللَّه سبحانه كشهود ودليل على أعمالهم، وهذا لا يكون إلا للمشركين والكافرين الذين كفروا وأشركوا وطغوا وبغوا في الحياة الدنيا.

... أما المؤمنون فلا يشهد اللَّه عليهم أعضاءهم وهي خاصة بالمشركين والكافرين، يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾.

[سورة فصلت، الآيات: ١٩ ـ ٢٤]

الأبصار فالسمع فالجلود تشهد على أعمال المشركين والكافرين يوم القيامة وهم بين يدي اللَّه سبحانه ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ﴾. ولم يقل اللَّه سبحانه بما كانوا يشركون ويكفرون، فشركهم وكفرهم واقع بهم وقد اعترفوا به وتخاصموا وتجادلوا من أجله أمام اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ﴾.

[سورة النور، الآية: ٢٤]

وهؤلاء الشهود حتماً في حق الكافرين والمشركين والمنافقين.

ولقد ذهب القرآن الكريم إلى بيان واضح جلي، إذ يصوِّر لنا حال الكافرين والمنافقين الذين ظنوا أن ظاهر عملهم ينفعهم يوم القيامة، فيقسمون ويحلفون أنهم كانوا على الحّق وأنهم كانوا مؤمنين.

يقول تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

وفي هذه المواقف يقررهم اللَّه سبحانه على جميع أعمالهم.

وقد بيَّنت السُّنَّة الشريفة مثل هذه المواقف عند حساب المشركين والكافرين والمنافقين وهم بين يدي اللَّه سبحانه.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ في حديث طويل قال فيه: «**فيلقى اللَّه العبد فيقول: أي فُل: ألم أكرمك، وأسوِّدك، وأزوِّجك، وأسخِّر لك الْخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى،**

أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني، فيقول: أي فل: ألم أكرمك، وأزوِّجك، وأسوِّدك، وأسخِّر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، يا رب، فيقول: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسولك، وصلَّيت، وصمت، وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، قال: فيقول: فهاهنا إذاً، قال: ثم يقال: الآن نبعث شاهدنا عليك، فيذكر في نفسه: من الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ما كان، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط اللَّه عليه، ثم ينادي منادٍ: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد»[١] .

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: كنّا مع رسول اللَّه ﷺ، فضحك، وقال: «**هل تدرون مـمّ أضحك**»؟ قال: قلنا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يعني يوم القيامة، فيقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم، قال: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكنَّ وسحقاً، فعنكنّ كنت أناضل**»[٢] .

ـ عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ، قال: «**إذا كان يوم القيامة عُرِّف الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقول: هؤلاء**

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٦٨) في الزهد والرقائق.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٦٩) في الزهد والرقائق.

جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقول: احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم اللّه وتشهد ألسنتهم ويدخلهم النار »[١].

عن حكيم بن معاوية، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: « **تجيئون يوم القيامة، وعلى أفواهكم الفدام فأول ما يتكلم من ابن آدم فخذه وكفه** »[٢].

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قرأ رسول اللّه ﷺ، هذه الآية:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾.

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٤، ٥]

· قال: « **أتدرون ما أخبارها** »؟ قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال: « **فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل ـ على ظهرها، أن تقول: عمل كذا، وكذا، في يوم كذا وكذا، فذلك أخبارها** »[٣].

فهذه الأحاديث الشريفة تدل دلالة واضحة على وقوف المشركين والكافرين والمنافقين جميعاً بين يدي اللّه قبل أن يأمر بهم جميعاً إلى النار، فيحاسبهم حساباً عسيراً شديداً، ويناقشهم نقاشاً شديداً لا هوادة فيه ولا غفران ولا رحمة، لأن رحمة اللّه سبحانه حرّمها جلّ جلاله كما حرّم جنته على الكافرين، وهؤلاء هم الذين قال اللّه فيهم يحاسبون حساباً عسيراً بعد أن يقرؤوا كتبهم ويجدوا فيها جميع أعمالهم مسطورة.

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا *

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥١): رواه أبو يعلى بإسناد حسن.
(٢) رواه أحمد (٥ / ٣) والطبراني والحاكم في كنز العمال (٣٨٩٩٧).
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٩٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي والحاكم وأحمد.

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۞ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٧ ـ ١٣]

ومعنى هذا أنّ المشركين والكافرين سوف يحاسبون حساباً عسيراً شديداً، والمؤمنين يحاسبون حساباً يسيراً، يتجاوز اللّه سبحانه عنهم، أما من يناقشه اللّه سبحانه فقد هلك وعُذّب.

ـ عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: **«من نوقش الحساب عُذِّب»** (١).

. . . وعندما يختم اللّه سبحانه على أفواههم بعد أن رفضوا الشهود جميعاً، يصرخون في أعضائهم بعد أن شهدت عليهم وعلى أعمالهم، أنهم كانوا يناضلون من أجل أن يمتعوا أعضاءهم فكيف تشهد عليهم بعد أن متعوها بالمحارم في الدنيا؟. . والكافر والمنافق ينكر نكراناً شديداً، ذلك أنه يعلم أن ما ينتظره إذا وافق على الشهود نار خالداً فيها أبداً، لذلك يجادل عسى أن ينفعه كذبه أو خداعه أو أيمانه أو نكرانه لنفاقه وكفره. وهو لا يعلم أن اللّه سبحانه لا تخفى عليه خافية منهم جميعاً، وإنّما ختم على أفواههم وشهدت أعضاؤهم، وذلك لتمام العدل والحكم.

ثانياً: العدل الإلٰهي المطلق وإقامة الحجة على الكافرين والمنافقين:

إن اللّه سبحانه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين فلا يظلم أحداً من خلقه، ولقد وصف سبحانه نفسه في أكثرَ من آية كريمة أنه لا يظلم أحداً ولا يظلم عبيده ولا يظلم مثقال ذرة.

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة باب إثبات الحساب رقم (٢٨٧٦).

يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ويقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٢]

ويقول تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٤٦]

ويقول سبحانه: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ .

[سورة ق، الآية: ٢٩]

من هذه الآيات الكريمة ندرك أن اللَّه سبحانه غير ظلّام للعبيد، وجميع البشر خلق اللَّه سبحانه وعبيده، يتساوى في ذلك كل الناس مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم ومنافقهم.. لذلك كان الحساب يوم القيامة للجميع دون استثناء.

فالكفر هو الجريمة الكبرى، ويسمى أصحابها الظالمين والمجرمين... ولكن هناك من الكفرة الفجرة من كان كفره أشدّ إيذاءً، أو من كان منهم أشد إثماً لارتكاب الفواحش والمعاصي، أو من كان منهم أشد عداوة للَّه ورسوله والمسلمين، فلا بد من أن ينال هذا عذابه الأكبر من اللَّه سبحانه إضافة لكفره وشركه ونفاقه، فالمنافقون كانوا أشد إيذاءً للمؤمنين، لذلك جعل اللَّه سبحانه لهم الدرك الأسفل من النار، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

وإن أول حسابهم أن اللَّه سبحانه يضع بين أيديهم كتب أعمالهم

ليروا ما فيها من شنيع أعمالهم وفظيع فواحشهم وسوء منكراتهم.

يقول تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

ثالثاً: إن اللّه سبحانه يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم:

إن كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى محاسبة الكافرين وتقريعهم وتوبيخهم.. وما ذلك إلا ليزدادوا ألماً وحسرة وندماً على ما فرَّطوا في جنب اللّه سبحانه، وحتى يدخلوا النار صاغرين بعد موقف الذل بين يدي اللّه سبحانه، وكذلك حتى تكون جميع مواقفهم في يوم القيامة ذلاً بذل ومهانة بمهانة، أليس هذا هو مقامَ المستكبرين على اللّه سبحانه؟

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣٠]

ويخاطبهم اللّه سبحانه يوم القيامة بعد أن يعرضهم على النار قبل أن يدخلوها، فيسألهم في موقف العرض والحساب.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ثم يعرضهم اللّه سبحانه على النار عند حسابه لهم، ويقول

لهم: أليس هذا بالحق؟ وإن اللّه حق وإن النار حق وإن الجنة حق وإن الحساب حق، وفي هذا كامل التوبيخ لهم وعذاب النفس ومرارة الندم والحسرة، حيث يقولون بحسرة تعتصر أفئدتهم عندما يسألهم ربهم: أليس ما ترون هو الحقَ؟

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٤]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه:

«يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم محاسبون على هذا الاعتبار» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٣٠٥).

ويقول القرطبي: «**واللّه سبحانه يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريراً لإقامة الحجة وإظهاراً للحكمة**» تذكرة القرطبي ص ٢٢٥.

رابعاً: حساب المشركين والكافرين على التكاليف الشرعية:

الكفار مكلفون بأصول الشريعة كما هم مكلفون بفروعها، أليسوا هم من عباد اللّه الذين خلقهم وأوجب عليهم شرعه؟ فالشرع الإلٰهي أنزل للخلق كافة، فمنهم من آمن وعمل به ومنهم من لم يؤمن ولم يعمل به... فكفر الكافر شيء وعدم العمل بشريعة اللّه شيء آخر ـ فهم مطالبون بالإيمان والعمل الصالح الذي هو شريعة اللّه سبحانه، ومحاسبون عليها غير حسابهم على كفرهم.

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ

فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾.

[سورة فصلت، الآيتان: ٦، ٧]

فهذه الآية تبيِّن أن المشركين والكافرين مطالَبون بشرع اللَّه، ودليل ذلك ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ فإذا كانوا مشركين فكيف هم مطالبون بدفع الزكاة؟

وربما يكون أيضاً حسابهم على الصلاة والصيام والحج.. أليس اللَّه سبحانه هو الخالق الذي خلقهم جميعاً؟ أليس له عليهم حقوق وفروض وواجبات من واقع عبوديتهم للَّه، ما أقاموها وما فعلوها.. فيجزي اللَّه من أقامها وفعلها ويعاقب من تركها ولم يؤدها.. إنه مطلق الحق ومطلق العدل.. وكذلك باقي أوامر اللَّه سبحانه، فاللَّه سبحانه أمر النساء بالحجاب وارتداء ما يستر عوراتهن، ومع ذلك فإن رسول اللَّه ﷺ توعد النساء وإن كن مؤمناتٍ بأن المرأة الكاسية العارية لا تشم رائحة الجنة ولو كان من بعد كذا وكذا.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». صحيح مسلم رقم الحديث ٢١٢٨.

فعوقبت المرأة وإن كانت مؤمنة باللَّه سبحانه ورسوله على تركها أمراً من أوامر اللَّه سبحانه.. وكذلك فإن الكافرين مكلفون بالأعمال التي أمر اللَّه سبحانه بها ومعاقبون على تركها.

خامساً: يحاسب الكافرون ويهبطون في دركات النار بقدر كفرهم وأعمالهم:

الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم، فمنهم العتلّ الشديد الذي كان في الأرض أشد سعياً للفساد ومحاربة اللَّه سبحانه، لذا فإنهم يمكثون في النار على قدر هذه الذنوب. . . فالنار دركات (درجات) بعضها تحت بعض، كما أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، فالمؤمنون يثابون على إيمانهم ويرفعون في الجنة إلى درجاتها بقدر ما قدّموا من أعمال، وكذلك الكافرون يعاقبون على كفرهم في النار ويهبطون في درجاتها بقدر ما فعلوا من ذنوب ومعاصٍ وفواحشَ ومنكرات.

يقول تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ .

[سورة مريم، الآيات: ٦٨ ـ ٧٠]

إذاً هناك من كل شيعة من الكافرين فئة كانوا في الدنيا أشدّ على الرحمن عتياً أي عداوة واستكباراً وفعلاً للمنكرات والفواحش، وهذا يكون بعد الحساب فيأخذ اللَّه أشدّهم كفراً ويضعهم في الدركات السفلى التي هي أشد عذاباً وآلاماً، تماماً كما سيفعل اللَّه سبحانه مع المنافقين.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

يقول ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه اللَّه:

« عقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قَلَّت سيئاته، ومن كان له حسنات خففت عن العذاب، كما أن أبا طالب أخفُّ عذاباً من أبي لهب. . فكان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا من أجل دخول الجنة»[١] .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤ / ٣٠٥).

في النصوص المتقدمة بيان واضح إلى أن الكفار يحاسبون ويسألون عن أعمالهم، ولكن يبقى السؤال؟

ماذا نقول في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٧٨]

وفي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

[سورة المرسلات، الآيتان: ٣٥، ٣٦]

نقول وباللَّه العون: إنه ليس بين ما تقدم من آيات ونصوص تعارض مع تلك الآيات التي تقول: إنه لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ولا يؤذن لهم فيتكلمون أو يعتذرون، فقد وَفَّق أهل العلم بين هذه النصوص.

الأول: إن الكفار لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لِمَ عملتم كذا وكذا [(١)]؟

الثاني: إنهم لا يسألون سؤال استفهام لأنه تعالى عالم بكل أحوالهم وأعمالهم، وإنما يسألون سؤال تقرير فيقال لهم: لِمَ فعلتم كذا؟ قال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم لأن اللَّه سبحانه حفظها عليهم وكتبتها الملائكة [(٢)].

الثالث: إنهم يسألون يوم القيامة في موطن دون موطن، قال القرطبي: «**القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك**»، وقال السفّاريني: «**وقيل: يُسألون في موطن دون موطن**». رواه عِكْرِمة عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما... فللناس يوم القيامة حالات، والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات، ومن ثَـمَّ قال الإمام

---

(١) التذكرة للقرطبي ص ٢٨٧.

(٢) لوامع الأنوار البهية: (٢ / ١٧٤).

أحمد في أجوبته القرآنية: أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، فذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٢]

فإذا أذن لهم في الكلام تكلَّموا، واختصموا، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٣١]

ذلك عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢٨]

الرابع: قال القرطبي: «**إن معنى قوله تعالى**: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٧٨]

سؤال التعرف لتمييز المؤمنين من الكافرين، أي إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحداً يوم القيامة: ما دينك؟ وما كنت تصنع في الدنيا؟ حتى يتبيَّن لهم إخباره عن نفسه أنه كان مؤمناً أو كان كافراً، لكن المؤمنين يكونون ناضري الوجوه منشرحي الصدر، ويكون المشركون سودَ الوجوه زرقاً مكروبين، فهم إذا طَلَبوا سوق المجرمين إلى النار، وتميزَهم في الموقف، كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم»[١].

(١) القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر.

الفصل الثاني

_الميزان ووزن أعمال العباد .

_هل الميزان ميزان حقيقي أم ميزان معنوي؟

_هل الميزان واحد لكل الخلائق أم لكل إنسان ميزان خاص به؟

_الميزان عند أهل السُّنَّة .

_هل الوزن يأتي على الأعمال أم على الأعمال مع صاحبها أم على كتب الأعمال؟

أولاً: وزن الأعمال .

ثانياً: وزن العامل نفسه أي (صاحب العمل) .

ثالثاً: وزن صحائف الأعمال .

_صفة الميزان وحجمه .

_هل توزن الأعمال لكل البشر مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم؟

الطبقة الأولى .

الطبقة الثانية .

الطبقة الثالثة .

_الوزن والميزان من المواطن الرهيبة يوم القيامة .

الميزان ووزن أعمال العباد

قبل أن نبدأ بالحديث عن الميزان، نذكر الآياتِ الكريمةَ التي تحدّث اللَّه سبحانه فيها عن الميزان ووزن الأعمال لعباده يوم القيامة، وكذلك عن وعده الحق بوزن الأعمال بميزان يزن الذرة وما دونها وما أكبر منها، ولا يضيع عنده من الأعمال ما كان وزنه مثاقيل الذر، لدقة اللَّه سبحانه في حكمه ووزنه وعدله، فاللَّه سبحانه هو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، فكلنا سنكون عنده في محكمة العدل الإلٰهي فلا تظلم نفس شيئاً مهما صغر أو كبر.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

وقال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩]

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾.

[سورة القارعة، الآيات: ٦ ـ ١١]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥]

مما تقدم من الآيات الكريمة، ندرك تماماً أن الإنسان توزن أعماله بعد أن ينتهي اللَّه سبحانه من حساب الخلائق جميعاً، وبعد أن يأخذ كل ذي حق حقه، ويدفعَ كل ظالم ما عليه من حساب للذين ظلمهم في الحياة الدنيا، وبعد أن يأخذ المظلوم كامل حقه حتى لو كانت كلمة قالها فلان من الناس في حقه في الدنيا، ولو كان درهماً أو أقلَّ من ذلك أخذه فلان من الناس بغير حق من فلان وماتا ولم يستسمح المدين من الدائن ولم يسامح الدائن المدين، مهما كان مبلغ المال الذي كان له عنده.

. . . وكل ذلك يسجّل في صحيفة الأعمال ما أخذ منه من سيئات وما أُعطيَ له من حسنات. . ويضاف هذا إمّا على حسناته فتزداد حسناته وإما على سيئاته فتزداد سيئاته. . . كل ذلك والمرء يومئذ بأمس الحاجة إلى حسنة واحدة، رجاء أن تدفع عنه ولو سيئةً واحدة.

. . . كل هذا كائنٌ، ويومئذ تعصر الحسرة والندامة أفئدة الظالمين على ما ظلموا به عباد اللَّه تعالى في الدنيا، لما يرون مِنْ عدل اللَّه سبحانه ودقة حسابه ولو كان مقداره ذرة واحدة لا وزن لها ولا ترى في العين. . ولكنها عند اللَّه ثقيلة ومرئية وواضحة وظاهرة لأن اللَّه سبحانه أحصاها وهم نسوها.

يقول تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

ويقول تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

نسوه لصغره فظنوا أن هذا لا قيمة له، وإذا به أمامهم يوم القيامة عند الحساب، لذلك عندما يقرؤون كتبهم تصدمهم المفاجأة حيث يرون أن كتابهم قد سطر فيه مثاقيل الذر من الأعمال، فيعجبون من هذه الدقة، ويقولون والخوف من اللَّه يعتصر قلوبهم ويجعل نفوسهم تغلي فزعاً وكأنها في مِرْجل يحرق نفوسهم وقلوبهم.

ويقول تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

لذلك يتوجه اللَّه سبحانه لأولئك فيقول لهم:

يقول تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ١٤]

فإذا قرأ لا يستطيع أن ينكر من هذا شيئاً، فالعمل حاضر أمامه سواء أبالصورة أم بالصوت أم بالقلم. . .

. . لقد استطاع الإنسان على قلة علمه كما وصفه اللَّه سبحانه في القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

استطاع أن يصمّم جهازاً وآلة تصوّر الإنسان وتسجّل أعماله وكلامه وحركاتِه وحتى غمزَ عيونه، وما صوّر منذ مِائة عام يعرض اليوم بكل دقة، وما يحفظ من النسخ والنِّكتيف يمكن عرضه ولو بعد

ألف عام. . . فكيف بما عند اللّٰه سبحانه وتعالى؟ . . وكيف يستطيع الإنسان أن ينكر من عمله شيئاً وهو حاضر أمامه بعلم اللّٰه وقدرته صوتاً وصورة وكتابة. . فأين الهروب، ومن أين الخروج، وكيف يستطيع أن يتنصل وينكر عمله وهو أمام اللّٰه الخالق القادر العليم؟

. . . قلنا: فإذا تم الحساب وسطر كل ذلك في صحيفة الحسنات، زيادة في الحسنات أو زيادة في السيئات بعد أخذ كل ذي حق حقه توزن تلك الصحائف. . فآخذ باليمين وآخذ بالشمال وآخذ من وراء ظهره، جعلنا اللّٰه سبحانه من أهل اليمين.

تنبيه:

لقد اختلف العلماء والمفسرون في حقيقة الميزان ووزن الأعمال فتعددت الآراء وكثرت التفاسير، وكثير أدلى بدلوه في هذا الباب.

. . وللمعرفة والبيان وإيضاح الأمور نستعرض بعض آراء العلماء حول الميزان ووزن الأعمال لنقف على حقيقة الأمر في النهاية ونرى الرأي الراجح في هذا الخصوص.

هل الميـزان
ميزان حقيقي أم ميزان معنوي؟!

ـ لقد دلَّت جميع النصوص أن الميزان ميزان حقيقي لا يقدر قدره ولا حجمه إلا اللَّه سبحانه.

ـ عن سلمانَ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعهن»**.

فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول اللَّه تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك[١].

.. فهو ميزان حقيقي دقيق لا يزيد في وزنه ولا ينقص ولو كان مقدار حبة من خردل أو كان مقدار ذرة من خير أو شر.

يقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

ويقول القرطبي في هذا الخصوص:

قال العلماء: إذا انقضى الحساب بدأ بعده وزن الأعمال، والوزن مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، قال: وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ

(١) رواه الحاكم.. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢ / ٦٥٦) رقم الحديث ١٩٤.

ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

يحتمل أن يكون ثَمَّ موازين متعددة، توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوّع الأعمال الموزونة، واللّه أعلم.

هل الميزان واحد لكل الخلائق أم لكل إنسان ميزان خاص به؟

في هذا الأمر اختلف العلماء، واختلافهم ليس من واقع اجتهادهم وتحليلهم إنما من واقع تفسير الآية القرآنية الكريمة.

يقول تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

فمن هذه الآية الكريمة ذهب بعض العلماء إلى أن لكل إنسان ميزاناً توزن به أعماله أو لكل عمل ميزاناً... ولكن ذهب علماء آخرون إلى أنَّ الميزان واحد، يزن اللَّه سبحانه فيه أعمال العباد جميعاً.. وقالوا: إن الجمع في الآية الكريمة من سورة الأنبياء﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾، إنما هو باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص وليس باعتبار تعدد الموازين.

وقد رجح ابن حَجَر.. بعد حكايته للاختلاف أن الميزان واحد قال: « **ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا**»[١].

وقال السفَّاريني: قال الحسن البصري: لكل واحد من المكلفين ميزان.

---

(١) فتح الباري (٣ / ٥٣٧).

وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾. وقال ابن عطية: «**وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان، وميزان للأخلاق، وميزان لأحوال النفوس وميزان وميزان...**»

وأردف ابن عطية القول: «**الناس على خلافه، وإنما لكل واحد وزن مختص به، والميزان واحد، وقال بعضهم: إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم**»(١).

وقيل وهو من أصح الأقوال: «**جمع الموازين** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ **مع أنها ميزان واحد لتعظيم شأن الميزان**».

والأرجح هو ميزان واحد قائم بقدرة اللَّه سبحانه ليزن جميع أعمال العباد.. واللَّه أعلم.

---

(١) لوامع الأنوار البهية: (٢ / ١٨٦).

الميـزان عـنـد أهل السُّنَّـة

الميزان عند أهل السُّنَّة ميزان حقيقي توزن به أعمال العباد ولم يخالف في ذلك إلا قلة قليلة جداً.

.. قال ابن حجر: « **قال أبو إسحاق الزجّاج: أجمع أهل السُّنَّة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال** » .

.. ولقد أنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسُّنَّة، ذلك أن اللَّه سبحانه بيّن أنه يضع الموازين لوزن الأعمال، ليرى جميع العباد أعمالهم ممثلة، وليكونوا أيضاً شاهدين على أنفسهم، لدقة عدل اللَّه سبحانه.

ولقد تحدّث ابن فورَك عن المعتزلة وإنكارهم للميزان فقال: « **أنكرت المعتزلة الميزان بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بوزنها** » . والمعنى أن الحسنات أو السيئات ليس لها وزن كما للحديد وزن أو للخشب وزن... ولقد حكموا على هذا من واقع تصوّرهم الدنيوي، ولكن للدنيا حال وللآخرة أحوال، واللَّه سبحانه لا يعجزه شيء في تمثيل الأعمال والحسنات والسيئات فيكون لها وزن.. فعلم ابن آدم قليل ومن القليل لا تكون الحقيقة.

يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

... ولقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل

والقضاء، وعزا الطبري هذا الرأي لكل من مجاهد والضحاك والأعمش، ولعل هؤلاء العلماء فسروا الميزان بالعدل لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآيات: ٧ ـ ٩]

فالميزان في هذه الآية الكريمة العدل، أمر اللّه سبحانه عباده أن يتعاملوا به في الدنيا. . ولكن أحوال الآخرة غير هذا، فالميزان الذي ينصب يوم القيامة تواترت بذكره الأحاديث الشريفة، وأنه ميزان حقيقي وهو ظاهر القرآن الكريم(١) .

ولقد ذكر الميزان عند **الحسن البصري فقال: « له لسان وكِفتان»**(٢) .

ولقد ردّ **القرطبي** على الذين أنكروا الميزان وأوّلوا النصوص الواردة فيه وحملوها على غير محملها قائلاً:

« قال علماؤنا: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على معنى (الدين الحق) والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القُوى المحمودة. . وهذا كله فاسد لأنه ردّ لما جاء به الصادق المصدوق ﷺ ، وقد ورد في الصحيحين: (فيعطى صحيفة حسناته)، وكذلك (فيخرج له بطاقة)، وذلك يدل على الميزان الحقيقي، وأن الموزون صحف الأعمال كما بيَّنّا وباللّه التوفيق»(٣) .

---

(١) النهاية لابن كثير (٢ / ٣٤) بتصرف يسير.

(٢) فتح الباري (١٣ / ٥٣٨).

(٣) التذكرة (صفحة ٣١٤).

.. **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:**

«الميزان ما توزن به الأعمال وهو غير العدل كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٢]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٣]

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

... **فقد دلَّ ابن تيمية** على أن الميزان غير العدل الوارد في سورة الرحمن وأنه ميزان حقيقي توزن به الأعمال.

.. **وأما الإمام أحمد** فقد رد على من أنكر الميزان بشدة حيث قال: إن اللَّه تعالى ذكر الميزان في قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

وكذلك فإن النبي ﷺ ذكر الميزان يوم القيامة.

فمن ردّ على النبي ﷺ فقد ردّ على اللَّه عزَّ وجلَّ [١].

... وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللَّه وبحمده سبحان اللَّه العظيم**».

وقال ﷺ عن ساقَيْ عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه: «**لهما في الميزان أثقل من أحد**».

---

(١) فتح الباري (١٣ / ٥٣٨).

. . . وعلى تعدد الآراء فإن الراجح وهو الحق بإذن اللَّه تعالى: أنه ميزان حسي له لسان وكفتان، وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء.

واللَّه سبحانه لا يعجزه أن يزن الحسنات وأن يزن السيئات وأن يكون للحسنة وزن وللسيئة وزن.

هل الوزن يأتي على الأعمال أم على الأعمال مع أصحابها أم على كتب الأعمال؟؟

أيضاً لقد اختلف علماء السلف رضي اللَّه عنهم في (الموزون) يوم القيامة أهو الأعمال؟ أم هو الأعمال مع أصحابها؟ أم كتب الأعمال والأقوال؟ ولكل وجهة ودليل. . . إذاً هناك ثلاثة وجوه لكيفية الوزن.

أولاً: وزن الأعمال:

ـ روى البخاري. . عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم**»[(١)].

وبهذا الحديث استدل البخاري على أن ذات الأقوال والكلمات توزن والأعمال كذلك.

وقال البخاري في صحيحه: باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إن أعمال بني آدم وأقوالهم توزن، وقال مجاهد: القسطاس العدل ـ بالرومية ـ ويقال: القسط مصدر المقسط وهو العادل، وأما القاسط فهو الجائر.

ـ عن أبي مالك الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه

(١) رواه البخاري في صحيحه.

ﷺ **«الطهور شطر الإيمان، والحمد للَّه تملأ الميزان، وسبحان اللَّه والحمد للَّه تملآن أو تملأ ـ ما بين السماء والأرض ـ والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»**(١).

. . . وقد دلَّت نصوص كثيرة على أن الأعمال تأتي يوم القيامة في صورة يعلمها اللَّه سبحانه. . ومن ذلك مجيء القرآن الكريم شافعاً لأصحابه يوم القيامة.

ـ عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزّهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما»(٢).

غيايتان: أقل كثافة من الغمامة. فرقان: طائفتان.

ـ عن النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو ظلتان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما(٣).

شَرْق: نور.

ولقد رجح ابن حجر العسقلاني هذا القول وقال: **«الصحيح أن الأعمال هي التي توزن»**.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، مشكاة المصابيح ورقم الحديث (٢١٢٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، مشكاة المصابيح ورقم الحديث ٢١٢١.

ثانياً: وزن العامل نفسه أي (صاحب العمل):

وهذا يكون بتقدير اللَّه سبحانه أن يوزن العامل نفسه مع عمله.

فقد دلَّت بعض النصوص والأحاديث الشريفة أن العباد يوزنون يوم القيامة، فيثقلون في الميزان بمقدار إيمانهم لا بضخامة أجسامهم وكثرة ما عليهم من لحم ودهن.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند اللَّه جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾** »[(١)].

ـ روى أحمد في مسنده، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أنه كان دقيق الساقين، فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم منه، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **مِمَّ تضحكون؟ قالوا: يا نبي اللَّه من دقة ساقيه**» ، قال رسول اللَّه ﷺ: « **والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**»[(٢)].

الثالث: وزن صحائف الأعمال:

لقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الذي يوزن يوم القيامة هو كتب الأعمال والأقوال، واستدلوا على ذلك بحديث (البطاقة المشهور).

ـ قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، حدثنا ابن المبارك، عن ليث بن سعد، حدثني عامر بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلّيّ، واسمه عبد اللَّه بن يزيد، سمعت عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن اللَّه يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر اللَّه عليه تسعة وتسعين**

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف، فتح الباري (٨ / ٤٢٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده، قال ابن كثير: تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي.

سجلاً، كل سجل مدَّ البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفّة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء مع بسم اللَّه الرحمن الرحيم[1]. وفي رواية: «**لا يثقل شيء مع اسم اللَّه تعالى**».

قال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لَهيعة، عن عمرو بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، فيوضع ما أحصي عليه فيتمايل به الميزان، قال: فيبعث إلى النار، قال: فإذا أدبر صاح صائح من عند الرحمن تبارك وتعالى يقول: لا تعجلوا، لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها: لا إله إلا اللَّه، فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان**»[2]

تنبيه: حديث البطاقة هذا. . . ناقشه كثير من العلماء، هَلْ هذا العفو من اللَّه سبحانه يشمل كل العصاة، كونهم يشهدون بـ لا إله إلا اللَّه سبحانه؟؟ أم هذا واقع فقط على حالة واحدة هي هذا الرجل فقط؟

والقول الصحيح: إن هذا فقط مع هذا الرجل الذي تحدث عنه رسول اللَّه ﷺ، أما لماذا وكيف ترجح بطاقة لا إله إلا اللَّه على ٩٩

(١) رواه أحمد (٢ / ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩) في الإيمان، وابن ماجه (٤٣٠٠).
(٢) رواه أحمد (٢ / ٢٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٢): رواه أحمد.

سجلاً مليئة بالذنوب والمعاصي؟؟ وهي حالة واحدة تكون يوم القيامة؟. وللعلماء في هذا الحديث أقوال:

. . . فإن قيل كيف رجحت بطاقة شهادة هذا على تلك السجلات المليئة بالذنوب، مع أن جميع العصاة من المسلمين عندهم هذه الشهادة ولم تترجح على كتب معاصيهم وذنوبهم؟

فالجواب عن ذلك من وجوه:

أولاً: إن كلمة الشهادتين قد يكون بها الإسلام لهذا الرجل، وقد تكون حسنة من الحسنات التي أتى بها صاحبها بعد الدخول في الإسلام.

فمن كان كافراً فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه ودخل بها في الإسلام، فإن هذه الشهادة وهي شهادة الإسلام تهدم ما قبلها من الذنوب والمعاصي، كما جاء في صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال له حين جاء يبايعه على الإسلام: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله**» الحديث الشريف.

. . . وأما من كان مسلماً وتشهّد أو هلَّل فإن ذلك يعتبر حسنة بل من أكبر الحسنات كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر رضي اللَّه عنه أنه قال: قلت: يا رسول اللَّه: أوصني!

فقال ﷺ: «**إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها**». قال: قلت: يا رسول اللَّه، أمن الحسنات لا إله إلا اللَّه؟ قال: «**هي أفضل الحسنات**». والمعنى أن لا إله إلا اللَّه تمحو من السيئات على حساب إخلاص قائلها فيها، كما هو شأن سائر الحسنات بل هي أفضل الحسنات، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

[سورة هود، الآية: ١١٤]

فصاحب البطاقة الوارد ذكره في الحديث السابق ـ فيه قولان:

الأول: يحتمل أنه كان كافراً ثم أسلم في آخر عمره وشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه وختم له بذلك فحينئذ يكون بها إسلامه، والإسلام يهدم ما قبله من الذنوب.

والقول الثاني: أنه كان مسلماً لكنه مسرف على نفسه بكثرة ذنوبه التي ملأت تسعة وتسعين سجلاً بالخطايا والذنوب، ولَكِنْ له حسنة كبيرة قد تقرَّب بها إلى اللَّه تعالى وهي: «**لا إلٰه إلا اللَّه محمد رسول اللَّه**» المسطورة في البطاقة الصغيرة الحجم، لكن صاحبها قد قالها في آخر عمره، وقد نطق بهاتين الشهادتين منيباً إلى ربه، تائباً من ذنوبه، خائفاً من العقاب ومن سوء الحساب، مقبلاً بقلبه على اللَّه تعالى، خائفاً من ذنبه، راجياً رحمة ربه، هكذا كانت خاتمة عمره، فكانت المغفرة عاقبةَ أمره.

والحاصل أن خاتمة هذا الرجل كانت حسنة، وهي الشهادة الصادرة عن قلب منيب، وعن توبة إلى اللَّه تعالى من جميع الذنوب، وعن خوف من اللَّه تعالى أن يعاقبه على ذنوبه، وعن رجاء من اللَّه تعالى أن يرحمه فيغفر له، وكان له ذلك لأن العبرة بالخواتيم. اللَّهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، فيكون هذا الرجل هو نظيرَ الرجل الآخر الذي ورد أنه قتل تسعةً وتسعين نفساً، ثم ذهب إلى القوم العابدين ليعبد اللَّه تعالى، تائباً من ذنبه منيباً إلى اللَّه تعالى بقلبه، فجاءه الموت قبل أن ينتهي إلى القوم العابدين، وهناك يأمر اللَّه تعالى الملائكة أن يقيسوا بين الأرض التي خرج منها، والأرض التي أرادها، فإلى أيّهما أقرب؟ فإذا هو أقرب إلى الأرض التي أرادها بشبر، فغفر اللَّه تعالى له وألحقه بالتائبين العابدين.

ورد في الصحيحين عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه أن النبيﷺ قال: « **كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على راهب** ـ أي عابد غير عالم ـ **فأتاه فقال له إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدلّ على رجل عالم، فقال له: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون اللَّه، فاعبد اللَّه معهم ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت.** » إلى تمام الحديث، كما تقدم في بحث لقاء اللَّه تعالى.

فصاحب البطاقة الذي نحن في بحثه، وشمول المغفرة له، هو من جهة حسن العاقبة نظير هذا الرجل الذي قتل مائة نفس الذي قالت فيه ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، ولكن قالت فيه ملائكة الرحمة: إنه جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى اللَّه تعالى.

القول الثالث: قال بعض العلماء: إن صاحب البطاقة أراد اللَّه الغفور الرحيم أن يكرمه إكراماً خاصًا، ويعلن ذلك على رؤوس الخلائق، فغفر له جميع ذنوبه ومحاها عنه بسبب تلك الشهادة التي تقرَّب بها إلى اللَّه سبحانه.

فهذا من باب الإكرام الإلٰهي الخاصّ به، كما يشير إلى ذلك قولهﷺ في صدر الحديث: « **إن اللَّه تعالى سيخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق** ».

هذا وإن اللَّه تعالى الغفور الرحيم يغفر لمن يشاء من المذنبين المرتكبين الذين لم يتوبوا، فضلاً منه وكرماً، كما هو الاعتقاد عند

أهل السُّنَّة والجماعة، ويعذّب من يشاء من العصاة المرتكبين، فالأمر عائد إليه سبحانه وتعالى.[(١)]

... والأرجح في القول: أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال بما تحمل من حسنات وسيئات.

صفة الميزان وحجمه

لقد ذكر الترمذي الحكيم في نوادر الأصول:

«لقد جاءت كفة الحسنات من نور والأخرى من ظلام والكفة النيرة للحسنات، والكفة المظلمة للسيئات، وجاء في الخبر: أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي اللَّه تعالى، كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار»[(٢)].

وروي عن سلمان الفارسي رضي اللَّه عنه أنه قال: **«توضع الموازين يوم القيامة، فلو وضعت فيهنّ السماوات والأرض لوسعتهنّ فتقول الملائكة: يا ربنا ما هذا؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة عند ذلك: ربنا ما عبدناك حق عبادتك»**. وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: **«توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان»**[(٣)].

ـ أثقل ما يوضع في الميزان من الأعمال:

وقال أحمد: عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مالك، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن

(١) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها للشيخ عبد اللَّه سراج الدين.

(٢) التذكرة للقرطبي صفحة ١٠.

(٣) التذكرة للقرطبي صفحة ١٠.

النبي ﷺ: «**أثقل شيء يوضع في الميزان خلق الإنسان**».

وقد وردت الأحاديث بوزن الأعمال أنفسها كما في صحيح مسلم، من طريق أبي سلام، عن أبي مالك الأشعري، قال رسول اللَّه ﷺ:

«**الطهور شطر الإيمان، والحمد للَّه تملأ الميزان، وسبحان اللَّه، والحمد للَّه تملآن ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهانٌ، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها**»(١).

فقوله: «**الحمد للَّه تملأ الميزان**» فيه دلالة على أن العمل نفسه وإن كان عَرَضاً قد قام بالفاعل، يحيله اللَّه يوم القيامة فيجعله ذاتاً، ويوضع في الميزان.

عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: **أثقل شيء يوضع في الميزان خلق حسن**»(٢).

[رواه أحمد عن سفيان بن عيينة]

عن أبي الدرداء: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن**»(٣)، وأخرجه أبو داود من حديث شعبة، به، والترمذي من حديث مطرف عن أبي سلام، عن مولى رسول اللَّه ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بخٍ بخٍ لخمس، ما أثقلهن في الميزان: لا إلٰه إلا اللَّه، واللَّه أكبر، وسبحان اللَّه، والحمد للَّه، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده**»، وقال: «**بخ بخ لخمسٍ: من لقي اللَّه مستيقناً بهن دخل**

(١) رواه مسلم (٢٢٣) في الطهارة، باب: فضل الوضوء.
(٢) ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٠٠٢).
(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٤٦ و ٤٤٨)، وأبو داود (٤٧٩) في الأدب، باب: في حسن الخلق، والترمذي (٢٠٠٣) في البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٠).

الجنة: يؤمن باللَّه، واليوم الآخر، وبالجنة والنار، وبالبعث بعد الموت، والحساب»[١] . انفرد به أحمد.

وكما ثبت في الحديث الآخر: « **تأتي البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما»**[٢] .

والمراد من ذلك أن ثواب تلاوتهما، يصير يوم القيامة كذلك.

تنبيه: وهكذا نجد أن ما يثقل الميزان هو الخلق الحسن والذكر والتسبيح والقرآن الكريم وأخصه ذكراً: سورة البقرة وآل عمران، كما ورد في الحديث الشريف، وكذلك العلم الذي ينفع الناس فيوضع في ميزان العالم الذي كان يعلِّم الناس العلم والخير.

أخرج ابن المبارك في الزهد عن حماد بن أبي سليمان قال: يجيء رجل يوم القيامة فيرى عمله محضراً، فبينما هو كذلك إذا جاءه مثل السحاب حتى يقع في ميزانه فيقال له: هذا ما كنت تعلّم الناس من الخير فورِّث بعدك فجزيت فيه، وذكر ذلك في (الدر المنثور).

---

(١) رواه أحمد (٣ ٤٤٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ ٨٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم برقم (٨٠٤)

هل توزن الأعمال لكل البشر مؤمنهم وعاصيهم وكافرهم؟؟

البشر في هذا الأمر ثلاث فئات أو طبقات غير الفئة المكرمة من اللَّه سبحانه وهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ ذكر: «**أن اللَّه يعطيه يوم القيامة أن يدخل من أمته الجنة بغير حساب سبعين ألفاً، ومع كل ألف** ـ وفي رواية ـ **ومع كل واحد سبعين ألفاً وثلاث حثيات من حثيات رب العالمين**». ولما سئل عنهم قال: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»(١).

قال أبو حامد الغزالي: الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً، وإنما هي براءات مكتوبة لا إلٰه إلا اللَّه محمد رسول اللَّه هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسَعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

الطبقة الأولى:

متقون لا كبائر لهم، وهؤلاء توضع حسناتهم في الكفة النيرة، وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل اللَّه سبحانه

---

(١) رواه مسلم برقم ٢١٦ ـ ٢١٨.

لتلك الصغائر وزناً، ـ لأن اللَّه سبحانه كفَّرها عنهم ـ وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلمة ارتفاع الخالي، فقد وعد رسول اللَّه ﷺ أن الصغائر تغفر إذا اجتنبت الكبائر كما روى البخاري في صحيحه: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر**».

لذلك لا يكون لها وزن يوم القيامة، أي الصغائر.

الطبقة الثانية:

مُخْلِطون حيث توضع حسناتهم في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار، إلا أن يغفر اللَّه سبحانه وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي. هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين اللَّه، وأما إن كانت عليه تَبِعات، وكانت له حسنات كثيرة، فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات، لكثرة ما عليه من التبعات، فيحمل عليه مِن أوزار مَن ظلمه ثم يعذّب على الجميع، هذا ما تقتضيه الأخبار على ما تقدم ويأتي.

وقال أحمد بن حرب: يبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق، فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة، وفرقة فقراء، وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات.

وقال سفيان الثوري: «**إنك إن تلقى اللَّه عزَّ وجلَّ بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد**».

قال المؤلف: هذا صحيح لأن اللَّه غني كريم، وابن آدم فقير مسكين، محتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه، حتى يثقل ميزانه فيكثر خيره وثوابه.

الطبقة الثالثة:

الكافر فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر اللَّه بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه.

وأما المتقون، فإن صغائرهم تكفر باجتنابهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته، فهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن في آيات الوزن، لأن اللَّه تعالى لم يذكر إلا من ثقلت موازينه بالخلود في الجنة ومن خفت موازينه بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر، وبقي الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فبيَّنهم النبي ﷺ حسب ما ذكرنا.

وإنما توزن أعمال المتقي لإظهار فضله، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه من كل خير، فكذلك توزن أعمال المتقي تحسيناً لحاله وإشارة لخلوه من كل شر، وتزييناً لأمره على رؤوس الأشهاد. وأما المُخْلِط السيئ بالصالح فإن دخل النار فيخرج بالشفاعة، على ما يأتي.

الوزن والميزان
من المواطن الرهيبة يوم القيامة

إن موطن وزن الأعمال من المواطن الرهيبة بالنسبة ليوم القيامة حيث ينسى فيه العبد أهله وأحبابه، وينشغل بنفسه. .

فما رأيك بموقف ينتظر فيه العبد نتيجة الوزن التي تكون سبباً لسعادته سعادة خالدة، أو شقائه شقاء خالداً في نار جهنم، حقاً إنه لموطن رهيب ترعد له الفرائص ويحل بالجسد والنفس خوفٌ يقطع الأوصال ويخلع القلوب من أماكنها فتقف عند الحناجر.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا القاسم بن الفضل، قال: قال الحسن: قالت عائشة: يا رسول اللّه، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**أما في مواطنَ ثلاثةٍ فلا: الكتاب، والميزان، والصراط**»[1].

فأما قوله: «**الكتاب**» فيحتمل أن يكون المراد بذلك الصحف حين تطاير والناس بين آخذ بيمينه، وآخذ بشماله.

كما قال البيهقي: حدثنا أبو حسن علي بن محمد بن علي المقري، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي، حدثنا محمد بن منهال، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس بن عبيد، عن الحسن، أن عائشة بكت، فقال لها

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٠٠١).

رسول اللَّه ﷺ: ما يبكيك يا عائشة؟ قالت: ذكرت النار فبكيت: هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: « **أما في ثلاثةِ مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً؛ حيث يوضع الميزان؛ حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف؟ وعند الكتاب حين يقال: هاؤم اقرؤوا كتابيه، حيث تطاير الصحف؛ حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أو في شماله، أو من وراء ظهره، وحيث يوضع الصراط على جسر جهنم**»(١).

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قلت: يا رسول اللَّه، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: « **يا عائشة، أما عند ثلاث فلا، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا، وأما عند تطاير الكتب، فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا، ثم يخرج عنق فينطوي عليهم، ويتغيظ عليهم، ويقول ذلك العنق: وكّلت بثلاثة؛ بمن ادعى مع اللَّه إلٰهاً آخر، وكّلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، وكّلت برجل جبار عنيد، قال: فينطوي عليهم، ويرمي بهم في غمرات النار ولجهنم جسر، أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب، وحسك، يأخذن من شاء اللَّه، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالرياح، وكأجاويد الخيل، والركاب، والملائكة يقولون: ربِّ سلّم، ربِّ سلّم، فناجٍ مسلَّم، ومخدوش مسلّم، ومكوّر في النار على وجهه**».

[رواه الإمام أحمد (٦١١٠) مجمع الزوائد (٥٩١٠)]

ـ ولما كان الميزان من المواطن الرهيبة فإن رسول اللَّه ﷺ يحضر عند وزن الأعمال ليشفع لأمته.

وتقدَّم من رواية حرب بن ميمون، عن النضر بن أنس، عن أنس رضي اللَّه عنه، أنه قال: اشفع لي يا رسول اللَّه، قال: « **أنا**

(١) رواه البيهقي في البدور السافرة صفحة (٢٣١) والحاكم في المستدرك (٤٥٧٨) وقال: حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

فاعل»، قال فأين أطلبك؟ قال: « **اطلبني أول ما تطلبني عند الصراط»**، قال: فإن لم ألقك؟ قال: « **فعند الحوض»**، قال: فإن لم ألقك؟ قال: « **فعند الميزان، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن يوم القيامة»**(١) . وفي التاج: الصراط ثم الميزان وأخيراً الحوض.

كذلك فقد روى أبو داود والترمذي عن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**(٢) .

فإن اللّه سبحانه يخصه بالشفاعة ويقبل منه الشفاعة لأمته، وهذا من واقع رحمة اللّه سبحانه بأمة محمد ﷺ وواقع حب الحبيب المصطفى ﷺ.

ـ البشرى لمن بشّر بثقل ميزانه: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ .

ـ عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: « **يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خفّ ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»**(٣) .

وقال عبد اللّه بن المبارك: حدثنا مالك بن مِغْوَل، عن عبيد اللّه ابن العيزار قال: « **عند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى: ألا إن فلانَ بن فلان ثقلت موازينه، وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، ألا إن فلان بن فلان خفّت موازينه، وشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»**(٤) .

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة رقم الحديث ٢٤٣٣.
(٢) رواه الترمذي رقم الحديث (٣٤٣٥).
(٣) رواه البيهقي: (البدور السافرة) صفحة ٢٣٠، والديلمي في الفردوس: (٨٧٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٧٤).
(٤) جزء من حديث ابن المبارك في زيادات الزهد (١١٠).

الرجل الذي تنقصه حسنة واحدة عند وزن أعماله لينجو من النار:

قال سعيد بن جبير وهو يحدث عن ابن مسعود: قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ـ ثم قال: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾.

[سورة المؤمنون: الآيتان: ١٠٢، ١٠٣]

ثم قال: إن الميزان يخفُّ بمثقال حبة أو يرجح[١].

وقال القرطبي: من ثقلت حسناته على سيئاته ولو بصراية أو صؤابة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أثقل ولو بصراية أو بصؤابة دخل النار، إلا أن يعفو اللّه، وروى مثل هذا ابن مسعود رضي اللّه عنه. الصراية = الحنظلة إذا اصفرت.

قلت: يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

لكن ما الحكم فيمن ثقلت حسناته على سيئاته بحسنةٍ أو بحسنات؟ هل يدخل الجنة، ويرتفع في درجاتها بجميع حسناته، وتكون قد أحبطت السيئات التي قابلتها؟ أو يدخلها بما بقي له من الحسنات الراجحة على السيئات، وتكون السيئات قد أسقطت ما وازنها من الحسنات؟

ـ لقد أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره سورة عبس رقم الآية ٣٣ ـ ٣٧ هذا الحديث، وقال: الحديث عن عكرمة موقوفٌ:

---

(١) رواه ابن المبارك في زيادات الزهد (٤١١).

يُروى: أنه توزن أعمال العبد فتنقصه حسنة واحدة حتى يثقل ميزان حسناته، فيقول اللَّه تعالى له: يا عبدي، انظر في المحشر لعلك تجد من يعطيك حسنة. فيذهب ويأتي إلى أخيه فيقول: يا أخي أنت أخي وابن أمي وأبي، ولقد نقصت حسناتي حسنة واحدة حتى ترجح، أعطني حسنة أثقل بها حسناتي، فيقول له أخوه: إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك، فيتركه ويمضي. ثم يأتي أمه فيقول: يا أمي أنت أمي وأشفق الناس عليَّ في الدنيا، ولقد احتجت إلى حسنة واحدة أثقل بها كفة حسناتي لأنجوَ أعطيني حسنة واحدة، فتقول: إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك، فتتركه وتمضي. فيأتي إلى أبيه فيقول: يا أبي أنت أبي ولقد احتجت إلى حسنة واحدة أثقل بها كفة حسناتي لعلِّي أنجو، أعطني حسنة واحدة فيقول: إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك. ثم يذهب إلى زوجته فيقول: يا زوجتي لقد أمضيت معك عمراً وشقيت من أجلك، ولقد نقصني حسنة واحدة لأثقل بها كفة حسناتي لعلِّي أنجو ألا تعطيني حسنة واحدة؟ فتقول: إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك. ثم يذهب إلى ولده فيقول: يا ولدي أنت ولدي ولقد شقيت من أجلك لتسعد وتعبت لتستريح، ولقد نقصني حسنة واحدة لأثقل بها كفة حسناتي ألا تعطيني حسنة واحدة حتى أنجو؟ فيقول: إني أخشى مما تخشى منه أنت، فلا أعطيك، فيتركه ويمضي.

ثم يرجع إلى ربه خائفاً وجلاً، حيث لم يأت بحسنة، وهؤلاء هم أهله وأقرب الناس صلة به لم يعطوه، فيقول: يا رب قد طلبت من أخي، وأمي، وأبي، وزوجتي، وولدي فلم يعطني أحد منهم حسنة واحدة.

فيقول اللَّه تعالى له: أنا أرحم بك منهم. خذوه يا ملائكتي إلى الجنة[١].

وقال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

[سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧]

(١) أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره عند تفسيره لسورة عبس رقم الآية ٣٣ ـ ٣٧ وقال: الحديث عن عكرمة موقوفٌ.

الفصل الثالث

استلام الصحف (تطاير الصحف)

- مدخل.
- هل استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب؟؟
- أهل الأعراف.
- من هم أهل الأعراف.
- أهل الأعراف هم من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم.
- وفي مختصر تفسير ابن كثير يقول عن أهل الأعراف.
- حشر الكفار إلى النار.
- ليس للكفار عبور على الصراط إنما يسحبون على وجوههم إلى النار.
- حشر الكفار إلى النار بعد فصل الحساب غير حشر الدنيا والحشر على أرض الدنيا.
- الندم الذي يعتصر نفوس الكافرين عندما يصبحون على أبواب جهنم ويقفون عليها.
- كل أمة كافرة ومشركة عند حشرهم إلى نار جهنم تتبع ما كانت تعبد وتؤله.

استلام الصحف
(تطاير الصحف)

مدخل:

.. إن في توقيت استلام الصحف أو تطايرها حتى يستلم كل امرئ صحيفته، إما بيمينه أو بشماله أو من وراء ظهره، بعضَ الإشكال في التفسير حول موضوع قراءة الصحيفة أو استلام الصحيفة.. ويبقى السؤال:

ـ هل الكتب التي نأخذها لنقرأها ونجد فيها أعمالنا هي نفسها الصحف التي يتم استلامها بعد الميزان؟

أم هذا كتاب كما في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾؟ وهذه صحيفة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

وعليه نقول:

.... الكتاب الأول: هو الكتاب الذي يخرجه اللَّه سبحانه لعبده يوم القيامة ليقرأ ما فيه من أعماله سواء أكانت حسنات أم سيئات، طاعاتٍ أم معاصيَ.. فيقرأ ويحاسب الإنسان نفسه قبل أن يحاسبه اللَّه رب العالمين، وذلك عند العرض على اللَّه قبل الحساب وقبل الوزن.

فالمرء عندما يخرج اللَّه سبحانه له كتابه ليقرأه فإنه يقرأه ويتحقق فيه بتُؤَدة ويقرأ كبائره، وصغائره، وصغائر صغائره، وهذا

يحتاج إلى تأنٍّ وقراءة وتمعّن ليقرأ كامل عمله الذي يمتد إلى سنوات عمره كلها.

يقول تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

فهؤلاء يصطرخون ويتعجَّبون من هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة من أعمالهم إلا وقد سطرت فيه، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ألم يقل اللّه سبحانه في محكم كتابه:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾؟

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

فسيرى العبد مثقال الذرة مسطوراً في صحيفته، وأخص أولئك الذين أجرموا وكفروا في حياتهم الدنيا وأصحاب المعاصي والكبائر، أمّا المؤمن فإن اللّه سبحانه يغفر له صغائره طالما اجتنب الكبائر في الحياة الدنيا.

يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٣٢]

ويقول تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٢٢]

ولقد وعد اللَّه سبحانه أنه سيخرج لكل عبد كتابه ليقرأه فيحاسب نفسه قبل أن يحاسبه اللَّه سبحانه. . يقرأ حتى لا يقول: إن اللَّه سبحانه ظلمه أو إن الكتبة الحافظين ظلموه.

يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

[سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤]

كل هذا والعلم عند اللَّه سبحانه يكون في بداية العرض على اللَّه بعد أن يأذن اللَّه سبحانه بشفاعة سيدنا محمد ﷺ بالعرض عليه وحساب الخلائق.

. . وفي هذه الحال يعرف الإنسان كل ذنوبه ويتذكرها جميعاً بعد قراءة متأنية ومستمرة لكتاب أعماله. . . . بعد ذلك تتم عملية التصفية ورد الحقوق وأخذ الحقوق. . فيؤخذ من صحيفة فلان حسنات ويؤخذ من صحيفة فلان سيئات، كلٌ حسب ما قدّم وأذنب وظلم عباد اللَّه سبحانه، فالحقوق يجب أن ترد إلى أصحابها. . فإذا ما تمت التصفية بعد العرض والحساب كما قدّمنا عن ذلك في الجزء السابع بشكل بيِّن وواضح ومفصل. . توزن الأعمال، فبعد التصفية تبقى في صحيفة العبد الحسنات والسيئات فتوضع الحسنات في كفة يقابلها السيئات في كفةٍ ويتم الوزن، فمن زادت حسناته على سيئاته ولو بحسنة واحدة أخذ صحيفته بيمينه، ومن تساوت حسناته مع سيئاته كان من أصحاب الأعراف الذين سنذكرهم في الفِقْرة التالية، ومن زادت سيئاته على حسناته ولو بسيئة واحدة كان من أصحاب النار يعذِّبه اللَّه سبحانه بقدر ذنوبه إلا أن يعفو اللَّه تعالى. . ثم يعطى صحيفة أعماله في شماله.

. . وأما الكفار كما تقدَّم فتوزن أعمالهم التي فيها شيء من الخير مع كفرهم، فلا يكون لها وزن وترتفع كفة السيئات التي يوضع بها كفرهم وجرائمهم لأن أعمالهم التي فيها شيء من الخير يوفونها في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

وبعد أن يتم الوزن تطير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ من وراء ظهره.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١٠]

ويقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ * إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ١٩ ـ ٢٢]

ويقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ٢٥ ـ ٢٧]

ولكن السؤال يبقى أن اللَّه سبحانه بيّن في سورة الانشقاق أن من يؤتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً. .

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ * فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ٧ ـ ١٢]

فالمعنى أن الإنسان يؤتى كتابه أولاً ثم يحاسب فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً.. فالآية تشير إلى استلام الكتب أولاً ثم الحساب.

هل استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب؟؟

ولنقرأ في تفسير المفسرين حول هذه الآيات ثم نبيِّن ما التبس حول استلام الصحف قبل الحساب أم بعد الحساب أم هناك استلامان الأول للكتاب الذي يقرأ فيه العبد أعماله، ثم بعد الوزن تطير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله.. أم هناك كتب.. وهناك صحف لما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآية: ١٠]

لنقرأ في كتب المفسرين أولاً.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: في تفسير الآيات من سورة الانشقاق ٧ ـ ١٢: إن اللّه تعالى ذكر انقسام الناس إلى سعداء وأشقياء وإلى من يأخذ كتابه بيمينه ومن يأخذ كتابه بشماله فقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ أي فأمّا من أعطي كتاب أعماله بيمينه، وهذه علامة السعادة ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ أي فسوف يكون حسابه سهلاً هنياً، يجازى على حسناته ويتجاوز عن سيئاته، (وهذا هو العرض) كما جاء في الحديث الصحيح في المراد بالحساب اليسير (العرض) لما روي عن النبي ﷺ قال: «**من حوسب عُذِّب**» فقالت عائشة: أو ليس اللّه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟ فقال ﷺ: «**إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عُذِّب**».

[رواه البخاري ومسلم]

وفي الحديث أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إن اللّه يدني العبد يوم**

القيامة، حتى يضع كنفه عليه، فيقول له: فعلت كذا وكذا ـ ويعدِّد عليه ذنوبه ـ ثم يقول له: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فهذا هو المراد من الحساب اليسير»[١].

.... **وفي تفسير ابن كثير** نفس البيان والتفصيل..

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾.

أي سهلاً بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فإنه من حوسب هلك لا محالة.. وفي رواية عن عائشة قالت: **«من نوقش الحساب ـ أو من حوسب ـ عُذِّب ـ ثم قالت: إنما الحساب اليسير عرض على اللَّه تعالى وهو يراهم»**[٢].

وأما في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾: أي وإذا صحف الأعمال نشرت وبسطت عند الحساب.

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾.

قال الضحاك: أعطي كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله، وقال قتادة: يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر الرجل ماذا يملي في صحيفته.

ـ عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عَرَضات، فأما عَرْضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعندها تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»[٣].

---

(١) تفسير الصابوني صفحة ١٦٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير ـ المختصر الجزء ٣ صفحة ٦١٩.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٤١٤) وابن ماجه (٤٢٧٧) والترمذي ٢٤٢٥ في صفة القيامة.

فمن حديث رسول اللَّه ﷺ يتبيَّن لنا أن هنالك ثلاثَ عرضات، الأولى والثانية جدال ومعاذير وذلك لا يكون إلا عند الحساب والعرض على اللَّه سبحانه، فإذا ما انتهى الجدال والمعاذير تطايرت الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله..

خلاصة القول واللَّه أعلم: إن الكتاب الذي يخرجه اللَّه سبحانه للعباد ليقرؤوا أعمالهم عند العرض عليه غير تطاير الصحف بعد الحساب وليس في هذا جزم، ولكن ربما يكون هو الأصح وأعود فأقول: واللَّه أعلم.

أهل الأعراف

من هم أهل الأعراف؟؟

أهل الأعراف هم الذين تساوت سيئاتهم مع حسناتهم، وقد ذكرهم اللَّه سبحانه في كتابه الكريم.

يقول تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۞ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۞ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآيات: ٤٤ ـ ٥١]

فاللَّه سبحانه يقول: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾.

فاللَّه سبحانه يخبر عن السور وهو الحجاب الحاجز بين أهل

الجنة وأهل النار، وعن الذين هم على مشارفه وأعرافه، فيقول سبحانه: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي بين الجنة والنار حجاب وهو السور الذي قال تعالى فيه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

قال ابن عباس وغيره: أعراف السور هي شُرَفه: أي أعاليه المشرفة.

قال العلامة القرطبي في تفسيره: والأعراف في اللغة المكان المشرف جمع عُرْف، قال يحيى بن آدم: سألت الكسائي عن واحد الأعراف فسكت، فقلت له: حدّثنا إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال:

الأعراف سور له عرف كعرف الديك فقال: نعم واللَّهِ واحده، يعني وجماعته أعراف.

وقد تكلَّم العلماء في بيان أصحاب الأعراف على عشرة أقوال بل أكثر. والذي ذهب إليه جمهور كثير من الصحابة والتابعين هو أنهم طائفة من الموحِّدين قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وذلك بأن استوت حسناتهم وسيئاتهم.

واستدلوا على ذلك بما رواه البيهقي عن حذيفة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوا الجنة بمغفرتي ورحمتي**»(١).

ولقد تعددت الآراء في تعيين أصحاب الأعراف وأرجح الأقوال

---

(١) رواه البيهقي ـ وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ نحوه كما جاء في الدر المنثور وغيره.

ما قاله القرطبي: «**إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فيقومون مدة على الأعراف ثم يؤمر بهم إلى الجنة**».

قال العلامة الآلوسي: وجمع بعضهم ـ أي بعض العلماء المحققين ـ بأنه يجوز أن يجلس الجميع ممن ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف ـ هناك مع تفاوت مراتبهم.

قال عبد اللّٰه: وهذا القول بالجمع مبني على أن الأعراف جمع عُرف، فهناك عدة شرفات مرتفعة، وأماكن عالية مطّلعة وعلى كل واحدة منها قوم من الذين ورد فيهم أنهم أصحاب الأعراف، ولكنهم على مراتبَ متعددةٍ متفاوتة، ولكل مرتبة أحكامها وخصائصها، واللّٰه تعالى أعلم بحقيقة ما هنالك.

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.

أي يعرفون كلاً من أصحاب الجنة وأصحاب النار بعلامتهم التي خصّهم اللّٰه تعالى بها وميّزهم عن غيرهم بها، وهي بياض الوجوه وحسنها ونضارتها في أهل الجنة، وسواد الوجوه وقبحها وظلمتها في أهل النار، إلى غير ذلك من معرفة حيّز هؤلاء وحيّز هؤلاء، وقوّاد هؤلاء إلى الجنة وقوّاد هؤلاء إلى النار.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي نادى رجال الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم وعرفوهم: أن سلامٌ عليكم ـ على طريق الدعاء والتحية لهم أو على طريق الإخبار بنجاتهم من العقوبات والمكاره.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ وقد ذكر كثير من علماء التفسير أن جملة لم يدخلوها حالٌ من فاعل نادوا أو من مفعوله. فتدبّر الآية تَعْقلِ المعنى.

وقال بعض العلماء المحققين: (الأعراف) سور بين الجنة والنار

باطنه فيه الرحمة وهو ما يلي الجنة منه، وظاهره من قبله العذاب وهو ما يلي النار، منه يكون عليه من تساوت كفّتا ميزانه فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة، وما لهم رجحان بما يدخلهم أحد الدارين. فإذا دُعوا إلى السجود وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف فيسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة. وقد كانوا ينظرون إلى النار بما لهم من السيئات، وينظرون إلى الجنة بما لهم من الحسنات ويرون رحمة اللَّه فيطمعون، أي في كرم اللَّه تعالى ورحمته.

وقد تلا الحسن البصري رضي اللَّه عنه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

فقال: واللَّه ما جعل اللَّه تعالى ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم سبحانه.

وروى الإمام أحمد في الزهد عن قتادة أن سالماً مولى أبي حذيفة رضي اللَّه عنه كان يقول: وددت أني بمنزلة أصحاب الأعراف، أي من الذين لم تغلب سيئاتُهم حسناتِهم بل استوت حسناتهم وسيئاتهم حتى تشمله مغفرة اللَّه تعالى ورحمته، ويحقق اللَّه تعالى له ما يطمع فيه وهو دخول الجنة.

أهل الأعراف هم من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم:

.. فكما أن من عباد اللَّه من تتجاوز حسناتهم سيئاتهم وعلى درجات كبيرة وكثيرة جداً، كذلك فإن من عباد اللَّه سبحانه من تتجاوز سيئاتهم حسناتهم وهم على درجات كبيرة وكثيرة جداً. كذلك وإن من مليارات البشر المجتمعة يوم القيامة عند اللَّه سبحانه، أعداداً كثيرة تتساوى حسناتهم مع سيئاتهم، ولذلك حتى نتجنب مثل هذا الموقف

العصيب والأليم بذات الوقت فنحن بأمس الحاجة إلى حسنة واحدة زيادة لنا حتى لا نكون من أهل الأعراف، ونقف محبوسين على القنطرة بين الجنة والنار، وقد رأينا كيف أن أصحاب الجنة دخلوها وأخذوا أماكنهم ونالوا حفاوة الاستقبال والتكريم من اللّه سبحانه ومن الملائكة، ونحن بحالة حبس لا نعلم متى يعفو اللّه سبحانه عنا ويأمر بنا إلى الجنة.

ـ **وفي تفسير الصابوني** (صفوة التفاسير) يقول عن أهل الأعراف كما جاء في القرآن الكريم:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بين الفريقين حجاب وهو السور الذي ذكره بقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ يمنع وصول أهل النار للجنة، وعلى هذا السور رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم أي بعلامتهم التي ميّزهم اللّه بها، قال قتادة: يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي ونادى أصحاب الأعراف أهل الجنة حين رأوهم أن سلامٌ عليكم أي قالوا لهم: سلام عليكم، قال تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة وهم يطمعون في دخولها، ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال المفسرون: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فليسوا من أهل الجنة ولا من أهل النار، يحبسون هناك على السور حتى يقضي اللّه فيهم، فإذا نظروا إلى أهل الجنة سلّموا عليهم، وإذا نظروا إلى أهل النار ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فسألوا اللّه ألّا يجعلهم معهم، قال أبو حيان: وفي التعبير بقوله: ﴿صُرِفَتْ﴾ دليل على أن أكثر أحوالهم النظر إلى أهل الجنة وأن نظرهم إلى أصحاب النار ليس من قبلهم بل هم محمولون عليه، والمعنى

أنهم إذا حُملوا على صرف أبصارهم ورأوا ما عليه أهل النار من العذاب استغاثوا بربهم من أن يجعلهم معهم.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي من أهل النار وهم رؤساء الكفرة ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي أيّ شيء نفعكم جمعكم للمال واستكباركم عن الإيمان؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ أي أهؤلاء المؤمنون الضعفاء الذين كنتم في الدنيا تسخرون منهم وتحلفون أن اللّه لا يدخلهم الجنة، والاستفهام استفهام تقرير وتوبيخ وشماتة، يوبخونهم بذلك ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي يقولون للمؤمنين: ادخلوا الجنة رغم أنوف الكافرين، **قال الآلوسي**: هذا من كلام أصحاب الأعراف يقولون لأهل الجنة المشار إليهم: دوموا في الجنة غير خائفين ولا محزونين على أكمل سرور وأتم كرامة.

وفي مختصر تفسير ابن كثير يقول عن أهل الأعراف:

كما جاء في القرآن الكريم:

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٤٦، ٤٧]

.... لما ذكر تعالى مخاطبة أهل النار، نبّه أن بين الجنة والنار حجاباً وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، **قال ابن جرير**: وهو السور الذي قال اللّه تعالى فيه: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ وهو الأعراف الذي قال اللّه تعالى فيه: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ هو السور

وهو الأعراف، **وقال مجاهد**: الأعراف حجاب بين الجنة والنار، سور له باب. **قال ابن جرير**: والأعراف جمع عُرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه. **وعن ابن عباس**: هو سور بين الجنة والنار، **وقال السدي**: إنما سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس، واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنىً واحدٍ، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم[١]. وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ ابن مردويه عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما قال: سئل رسول اللّه ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته، فقال: «**أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون**». وقال ابن جرير عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف، فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناتهم عن النار. قال: فوقفوا هناك على السور حتى يقضي اللّه فيهم.

وعن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول اللّه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ الآيتين، ثم قال:

الميزان يخفّ بمثقال حبة، ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: سلام عليكم، وإذا صرفت أبصارهم إلى يسارهم ونظروا أهل النار ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ

---

(١) قال بذلك حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف.

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تعوَّذوا باللَّه من منازلهم، قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً فإذا أتوا على الصراط سلب اللَّه نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول اللَّه تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فكان الطمع دخولاً، قال: فقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشراً، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته[١]، وسئل رسول اللَّه ﷺ عن أصحاب الأعراف؟ قال: «**هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد، قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلوا الجنة، فأنتم عتقائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم**»[٢].

وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولاً، وأما قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾، **قال ابن عباس**: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه، وقال العوفي عن ابن عباس: أنزلهم اللَّه بتلك المنزلة ليعرفوا من في الجنة والنار، ليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه، ويتعوَّذوا باللَّه أن يجعلهم مع القوم الظالمين، وهم في ذلك يحيّون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء اللَّه تعالى، **وقال الحسن**: إنه تلا هذه الآية: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قال: واللَّه ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم، **وقال قتادة**: قد أنبأكم اللَّه بمكانهم من الطمع، وقوله: ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن مسعود موقوفاً.

(٢) قال ابن كثير: هذا مرسل حسن.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. **قال الضحاك عن ابن عباس**: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. **وقال السدي**: وإذا مروا بهم يعني أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم، ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. **وقال عكرمة**: تحدد وجوههم للنار، فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم، **وقال ابن أسلم** في قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾.

يقول اللَّه تعالى إخباراً عن تقريع أهل الأعراف لرجال من صناديد المشركين وقادتهم، يعرفونهم في النار بسيماهم ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾؛ أي كثرتكم، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾، أي لا تنفعكم كثرتكم ولا جموعكم من عذاب اللَّه بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب والنكال، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ﴾ **قال ابن عباس**: يعني أصحاب الأعراف ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾، **وقال ابن جرير عن ابن عباس**: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ الآية، قال: فلما قالوا لهم الذي قضى اللَّه أن يقولوا يعني أصحاب الأعراف لأهل الجنة وأهل النار، قال اللَّه لأهل التكبر والأموال: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾.

... اللَّهم اجعلنا من أهل جناتك الذين تتجاوز عن سيئاتهم في مقعد الصدق الأمين، ولا تجعلنا من أهل النار ولا من أهل الأعراف بل تزيد لنا في حسناتنا حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

حشر الكفار إلى النار

حشر الكفار إلى النار:

إذا ما انتهى فصل القضاء والحساب ووزنت أعمال العباد وتطايرت الصحف، فآخذ باليمين وآخذ بالشمال وآخذ وراء ظهره، أمر اللَّه سبحانه بالصراط فيضرب على ظهراني جهنم ليعبر عليه المؤمنون والعصاة من أمة محمد ﷺ والمنافقون من أمة محمد ﷺ.

... فالصراط هو (جسر) يضرب على ظهراني جهنم لا يعلم طوله إلا اللَّه سبحانه وتعالى.. وقد وصفه رسول اللَّه ﷺ بأنه (دحض مزلّة) عليه خطاطيف وكلاليب وحسك.

ليس للكفار عبور على الصراط إنما يسحبون على وجوههم إلى النار:

.... أما أهل الشرك والكفر فلا عبور لهم على الصراط، إذْ يحشرون وما يَعْبدون إلى جهنم ويُلقون فيها أمماً أمماً هم وما كانوا يعبدون.

يقول تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ * فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ١١]

فهم يلقون في جهنم كما جاء في الآية الكريمة إلقاءً فيه المهانة والذل، فليس في الإلقاء احترام بل مهانة وذل.. والإلقاء لا يكون فردياً بل يكون بصورة جماعية مهينة.. يلقون أمماً أمماً.

يقول تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٣٨، ٣٩]

وفي هذا الموطن بالذات، يأمر اللّه سبحانه بهم فيسحبون إلى النار على وجوههم وهم ينهرون نهراً غليظاً.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٣٤]

.. فإذا سحبوا فإنهم يساقون إلى جهنم كما يسوق الراعي البهائم من البقر والغنم، وهو موقف وموطن مليء بالذل والمهانة.

يقول تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٢]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ١٩]

ومعنى يوزعون أي تجمعهم الزبانية من الملائكة وهم ملائكة العذاب الذين وصفهم اللّه سبحانه بالغلاظ الشداد أي غلاظ القلوب شداد

الأجسام الذين لا يعصون اللَّه فيما أمرهم . . ويكفي مهانة موقف المشركين والكافرين ما يلقونه من مهانة وصَغار وذل على أيدي ملائكة العذاب .

يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ .

[سورة التحريم، الآية: ٦]

حشر الكفار إلى النار بعد فصل الحساب غير حشر الدنيا والحشر على أرض المحشر .

وهذا الحشر بعد انقضاء فصل الحساب غير الحشر على أرض الدنيا وغير الحشر على أرض المحشر . . . . وهذا الحشر، الحشر إلى النار لهو من أشد الحشر صعوبة ومذلة ومهانة بما يلقونه عند سحبهم من الإهانة والصغار ولما ينتظرهم من عذاب في نار جهنم .

. . . . وإن من أقسى المواقف وأشدّها إيلاماً وعذاباً أن اللَّه سبحانه يأمر بهم فيحشرون إلى جهنم عمياً وبكماً وصماً .

فاللَّه سبحانه يفعل ما يشاء وقد قدّمنا في الأجزاء السابقة أن يوم القيامة مواقف ومواطن كثيرة . . فمرة يحشرهم اللَّه عمياً وبكماً وصماً، ومرة عمياً ومرة عمياً وصماً . فهم واقعون تحت مشيئة اللَّه سبحانه .

يقول تعالى : ﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

وربما يكون هذا الحشر على هذه الهيئة من العمى والبكم والصم وهم في طريقهم إلى جهنم، ويعيد اللَّه إليهم أبصارهم

وسمعهم وألسنتهم عندما يلقون في جهنم، يقول تعالى: ﴿ إِذَآ أُلۡقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٧]

فاللَّه سبحانه، إذا ألقوا في جهنم يعيد إليهم حواسهم كاملة ليزداد عذابهم وإحساسهم بنار جهنم.

. . . . ولقد سئل رسول اللَّه ﷺ عن الآية الكريمة: ﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيًا وَبُكۡمًا وَصُمًّا ﴾.

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: « **أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة** »؟ قال قتادة: بلى وعزة ربنا[(١)].

للنار تغيظ وزفير إذا رأت الكافرين وهم يحشرون إليها:

والكافرون والمشركون مغلوبون على أمرهم لا يستطيعون دفع ذلك عن أنفسهم.

يقول تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٢]

حتى النار الموكلة بهم لها عينان تبصران بها وتميز الكافرين والمشركين ولو من مكان بعيد ـ فما أعظم قدرة اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٥]

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الحشر، فتح الباري (١١/ ٣٧٧)، ورواه مسلم (٤/ ٢١٦١) ورقمه ٢٨٠٦ واللفظ لمسلم

الندم الذي يعتصر نفوس الكافرين عندما يصبحون على أبواب جهنم ويقفون عليها:

إن من أشد المواقف هولاً على الكافرين بعد أن يسحبوا على وجوههم إلى النار بأمر اللَّه تعالى، عندما يقفون عند أبوابها قبل أن يرموا فيها بعنف ويلقوا فيها بمهانة.. ولقد صوَّر القرآن الكريم مثل هذه المشاهد تصويراً رائعاً، وكأنك في مشهد تشعر بمشاهدته أمامك.

يقول تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٤٥]

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٤]

إنها مشاهد تصويرية وكأنها حاضرة أمامك، كيف يقف هؤلاء المجرمون والكافرون والمشركون على أطراف وأبواب جهنم قبل أن

يلقوا فيها؟ وتصوّر آلامهم وعذابهم النفسي وحالهم وهم قد علموا أنهم مواقعوها لا محالة وأنها دار الخلد لهم، فيا ويلهم ممّا ينتظرهم.

يقول تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٣]

وإن من أعظم المشاهد التي صوَّرها القرآن الكريم لهؤلاء الفجرة الكفرة كيف يُحضرون إلى جهنم، ويوقفهم اللَّه سبحانه قبل أن يلقيهم فيها خالدين فيها أبداً، موقف الذل والمهانة والصغار بما استكبروا في الأرض عن عبادة اللَّه وطاعته، وبما عتوا عن أمره وظلموا عباد اللَّه وفسقوا وعصوا وكانوا يعتدون.. فاقرأ هذا المشهد الذي صوَّره عالِم الغيب والشهادة وهو أعلم بما سيكون يوم القيامة، وكيف يفعل بهؤلاء العتاولة الظلمة الذين أصروا على حرب اللَّه سبحانه وكتابه القرآن الكريم والمسلمين والمؤمنين باللَّه رباً وبمحمد ﷺ نبياً.

يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٦٨ ـ ٧٠]

فتصوَّر لهيب النار (نار جهنم) وهم على أبوابها كيف تلفح وجوههم وتذيب شحومهم وهم جاثون على ركبهم ليسوا واقفين.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ والنار تتغيظ وتزفر وتشهق وتنتظر أمر ربها لتسحبهم وتلقيهم في قعرها وبين ظُلَلِها.. وهذا موقف الاستكبار على اللَّه سبحانه وليس بعد هذا الموقف من الذل إلا ذلهم ومهانتهم في نار جهنم، ولقد حشرهم اللَّه سبحانه في مواطن أخرى

من قبل كالذر استصغاراً لهم وكانت الخلائق تطؤهم بأقدامها لذلهم وهوانهم.

وتصوَّر أن هؤلاء المجرمين الكافرين قد حشروا حول جهنم مع الشياطين، فهم والشياطين سواء في الموقف حول جهنم وفي جهنم، وتصوَّر عذاب الشياطين الذين وصفهم اللَّه سبحانه أنهم كانوا للرحمن أعداء.

إنه موقف رهيب وأنت تنظر إلى أعداد هائلة لا يعلم حقيقتها وعددها إلا اللَّه، وقد تبلغ عشرات المليارات ـ تقف موقفاً واحداً أرتالاً، جاثية على ركبها تنظر بقلوب بلغت حناجرهم وبنفوس امتلأت رعباً وذلاً، أظلهم الخزي وتحلَّقت حولهم ملائكة العذاب والنار لها عينان تبصران تنظر إليهم وقد اشتد غيظها وتنتظر الأمر لتلقفهم وتأخذهم إلى دركها الأسفل.

كل أمة كافرة ومشركة عند حشرهم إلى نار جهنم تتبع ما كانت تعبد وتؤله:

عند الحشر إلى النار يطلب من كل أمة من هذه الأمم الذليلة أن تتبع ما كانت تعبد في الدنيا من شمس وقمر ونجوم وتماثيل وأصنام وكل هذا يتصوَّر لهم ثم يتبعونها.. وكذلك الذين كانوا يعبدون فرعون يتبعونه، وعشرات من الحالات، لأن الكفار صنعوا لأنفسهم آلهة كثيرة في الدنيا وأبوا أن يعبدوا الواحد القهار.

وقد ضرب اللَّه سبحانه لنا مثالاً في ذلك عن فرعون وكيف يرد النار هو ومن تبعه من الضالين.

يقول تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾.

[سورة هود، الآية: ٩٨]

وقد أرسل اللَّه سبحانه لهم موسى عليه السلام ليهديهم صراط اللَّه المستقيم، ولكنهم أبوا وظلوا على تأليههم وعبادتهم لفرعون، وقد وصفهم اللَّه في كتابه بأنهم قوم فاسقون.

يقول تعالى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٥٤]

فاللَّه سبحانه لا يظلم أحداً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ، قال: «**إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذِّن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير اللَّه سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه من بر وفاجر، وغبّر[1] أهل الكتاب. فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عُزيراً ابن اللَّه، فيقال: كذبتم، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.**

ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن اللَّه، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا، يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب، يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في

---

(١) ومعنى غبّر: بقايا.

الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك، لا نشرك باللَّه شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه إلا أذن اللَّه له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل اللَّه ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحوَّل في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللَّهم سلِّم، سلِّم»، قيل: يا رسول اللَّه، وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرّكاب، فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»[1].

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال في إجابته للصحابة عندما سألوه عن رؤيتهم للَّه: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع اللَّه الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم اللَّه في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم اللَّه في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم، قال رسول اللَّه ﷺ: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (١/ ١٦٧) ورقمه (١٨٣).

اللَّهم سلِّم، سلِّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ » قالوا: بلى يا رسول اللَّه، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل، ثم ينجو** »[(١)].

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة في وصف المرور على الصراط، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**وترسل الأمانة والرحم، فتقومان على جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق** »، قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كالبرق؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق كيف يمرّ ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرّ الريح، ثمّ كمرّ الطير وشدّ الرحال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: ربِّ، سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار** »[(٢)].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد اللَّه يسأل عن الورود، فقال: «**نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك.**

قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم، منافقٍ أو

---

(١) رواه البخاري كتاب الرقاق باب: الصراط جسر جهنم، فتح الباري ١١/ ٤٤٤، ورواه مسلم كتاب الإيمان ورقم الحديث ١٨٢ واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٨٧) ورقمه (١٩٥).

مؤمن، نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء اللَّه ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نَجم في السماء . .»[1].

لقد دلَّت هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة والواضحة والبيِّنة كبيِّنة الشمس في رائعة النهار كيف يحشر الكفار والمشركون إلى النار، وكيف يسير المؤمنون إلى الصراط وخلاص المؤمنين ووقوع المنافقين في نار جهنم . . وبيَّنت لذلك معنى الورود الذي قال اللَّه تعالى عنه في كتابه العزيز . ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٧١]

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٧٥) ورقم الحديث (١٩١).

الفصل الرابع

عالم الصراط

ـ صفة الصراط .

ـ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون .

ـ أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط .

ـ الورود على النار .

ـ ورود المؤمنين على النار .

ـ حكمة ورود المؤمنين على النار .

ـ الأعمال التي يثبت اللّٰه تعالى بها قدم صاحبها على الصراط .

ـ أولاً : ملازمة المساجد .

ـ ثانياً : إحسان الصدقة .

ـ ثالثاً : إقالة المسلم عثرته .

ـ رابعاً : تيسير الإنسان ما عسر على غيره .

ـ خامساً : إعانة العباد في حاجاتهم .

ـ سادساً : حماية المؤمن من منافق .

ـ الصراط لغةً وشرعاً ومعتمد أهل السنة فيه .

ـ الخوف من زلة الأقدام والفزع الأكبر في المرور على الصراط .

ـ الفرح والسرور في عبور الصراط والنجاة من النار وأهوالها .

ـ عند العبور على الصراط يبدِّل اللّٰه الأرض غير الأرض والسماوات .

عالم الصراط

صفة الصراط

الصراط يضرب على ظهراني جهنم ليعبر عليه المؤمنون وأهل الإيمان من أهل الكتاب، وكذلك ليعبر عليه المنافقون وأهل الكبائر والمعاصي من أمة محمد ﷺ.

روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه أنه قال: بلغني أن الجسر ـ أي الصراط ـ أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف.

وروى الطبراني والبيهقي بسند صحيح عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: «**يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حدّ السيف المرهف مدحضة مزلّة، عليه كلاليب من نار يخطف بها فممسك يهوي فيها، ومصروع، ومنهم من يمرّ كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كرَمَل الرجل، ثم كمشي الرجل . . . .**»[١].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: «**ولجهنم جسر أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء اللّه تعالى والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب. والملائكة يقولون: ربّ سلّم سلّم. فناجٍ مسلّم، ومخدوش مسلّم، ومكوّر في النار على وجهه**».

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني بإسناد حسن، وعزاه الزُرقاني إلى الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح كما في شرح المواهب ٨: ٣٩٢.

وروى البيهقي وابن أبي الدنيا وابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الصراط على جهنم مثل حرف السيف وبجنبتيه كلاليب وحسك يركبه الناس فيُختَطَفون، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلّوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر، والملائكة على جنبتيه يقولون: ربّ سلّم سلّم**»[1].

عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه في حديث طويل قال فيه ﷺ: «**ثم يضرب الصراط بين ظهرانَي جهنم**»[2]. وفي رواية: «**ويضرب جسر جهنم** (أي الصراط) **فأكون أولَ مِن يجوز**[3] **من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل**[4]**، وكلام الرسل يومئذٍ اللّهم سلّم سلّم**[5]**، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا اللّٰه تعالى تخطف**[6] **الناس بأعمالهم**»[7].

(١) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا / صحيح.

(٢) والمعنى أن الصراط ينصب ويمدّ بين ظهراني جهنم أي بين أجزاء ظهرها كأنها محيطة به.

(٣) أي يقطعه ويمضي عليه، يقال: جاز الوادي وأجازه قطعه. حكاه النووي وغيره.

(٤) أي لا يتكلم حين الإجازة على الصراط إلا الرسل، وذلك لشدة الهول وعظم الفزع. أما في غيره من المواطن فهم يسأل بعضهم بعضاً، ويلوم بعضهم بعضاً، ويجادل بعضهم بعضاً.

(٥) وهذا الدعاء من الرسل هو لأممهم شفقة عليهم ورحمة بهم.

(٦) جمع خُطَّاف، وهي حديدة يختطف بها.

(٧) رواه البخاري ومسلم.

يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون

لقد أخبر رسول اللَّه ﷺ أنه في ختام هذا اليوم يوم القيامة وقبل المرور على الصراط، أن اللَّه سبحانه يطلب من كل أمة أن تتبع ما كانت تعبد في الدنيا، ولقد قدَّمنا لذلك في الفِقرات السابقة مع شواهد الآيات والأحاديث الشريفة، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس، والذي يعبد القمر يتبع القمر، والذي كان يعبد الأصنام والأشخاص فإنه تصوّر لهم آلهتهم ثم تسير أمامهم ويتبعونها.. ثم تتساقط هذه الآلهة المزعومة ويتساقط عبّادها وراءها صاغرين في السعير ونار جهنم.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٨، ٩٩]

ومعنى الآية الكريمة أن هذه الآلهة المزعومة لو كانت آلهة لما وردت النار وتقدمتكم في الورود إلى جهنم، والآية بخصوص الكافرين وما كانوا يعبدون في الدنيا.

... فإذا ورد الكافرون وما يعبدون إلى جهنم وتساقطوا فيها وألقوا إلقاء مهانة كما قدّمت.. لم يبق إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب والمنافقون من أمة محمد ﷺ وأهل الكبائر والمعاصي.

فيأتيهم ربهم فيقول لهم: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربَّنا، ويشكل عليهم أمورٌ كثيرة، حتى يكشف اللّه سبحانه لهم عن ساقه فيعرفونه وعند ذلك يخرون سجداً إلا المنافقين فإنهم لا يستطيعون.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾.

[سورة القلم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

وفي تفسير ابن كثير لهاتين الآيتين الكريمتين يقول:

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم، بيّن ذلك حتى كأنه كائن وواقع، فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والبلاء والامتحان والأمور العظام، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « **يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً** »[١].

وقال ابن عباس: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. وعن ابن مسعود ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر: شالت الحرب عن الساق[٢]. وقال ابن جرير عن مجاهد: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة، وقال العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ يقول: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال، وكشفه دخول الآخرة، وروي عن النبي ﷺ قال:

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث مشهور.

(٢) رواه عنهما ابن جرير.

« ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ يعني عن نور عظيم يخرون له سجداً»[١] .

وقوله تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دُعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب عزَّ وجلَّ فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين أو المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه[٢] ، فالمؤمنون يسجدون والمنافقون لا يستطيعون، ثم يتبع المؤمنون ربهم وينصب الصراط، ويعطى المؤمنون أنوارهم التي وعدهم اللَّه سبحانه بها، ويسيرون على الصراط بالنور التام ويطفأ نور المنافقين، فيطلبون النور، ويقال لهم: ﴿ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ ، ثم يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَله العذاب، ويمر العباد على الصراط مسرعين بقدر إيمانهم وأعمالهم الصالحة.

مشهد مرور المؤمنين على الصراط وأحوال المنافقين عليه كما جاء في القرآن الكريم

لقد صوَّر لنا القرآن الكريم مشهداً رائعاً عن أحوال المؤمنين والكافرين عند العبور على الصراط يوم القيامة، حيث يعطي اللَّه سبحانه المؤمنين نوراً تاماً ليروا ما أمامهم وهم يمرون على الصراط

---

(١) أخرجه ابن جرير عن أبي بردة بن أبي موسى مرفوعاً ورواه أبو يعلى.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٥٣٧).

الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف، فيمرون برحمة اللَّه وما أكسبهم اللَّه سبحانه من النور، ويصوّر لنا المشهد أحوال المنافقين الذين كانوا على النفاق في الدنيا، الذين كانوا يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر.. وكذلك الذين استكبروا من المؤمنين عن طاعة اللَّه وارتكبوا فواحش وكبائر وماتوا عليها دون توبة ولا استغفار.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ * فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

[سورة الحديد، الآيات: ١٢ ـ ١٥]

وفي تعليق لشارح الطحاوية(١) حول هذا الموضوع يقول:

«وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم، روى البيهقي بسنده عن مسروق، عن عبد اللَّه، قال: يجمع اللَّه الناس يوم القيامة إلى أن قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره في إبهام قدمه، يضيء مرة ويُطفأ أخرى، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أُطفئ قام، قال: فيمر

(١) شرح الطحاوية: ص٤٧٠ وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ذكر أن الأحاديث التي ذكرت في شرح الطحاوية صحيحة.

ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض مزلة، ويقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشدّ الرّجل، يرمل رملاً على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخرّ يدٌ، وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون فإذا خلصوا، قالوا: الحمد للّه الذي نجانا منك، بعد أن أرانا إياكِ، لقد أعطانا ما لم يعط أحد».

أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط

أحوال المؤمنين في عبورهم الصراط تختلف باختلاف درجات إيمانهم وأعمالهم أو نفقاتهم ومعاصيهم وكبائرهم. . فمنهم السالم الذي يمر مرّ الريح فينجو، ومنهم من يخدش ثم ينجو، ومنهم الهالك الذي تتخطفه الكلاليب ثم يهوي في جهنم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه في حديث طويل قال فيه ﷺ: «**ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم**[١]». وفي رواية: «**ويضرب جسر جهنم** (أي الصراط) **فأكون أول من يجوز**[٢] **من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل**[٣]**، وكلام الرسل يومئذٍ اللَّهم سلّم سلّم**[٤]**، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: نعم. قال: «**فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه تعالى تخطَف**[٥] **الناس بأعمالهم**»[٦].

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثم**

---

(١) والمعنى أن الصراط ينصب ويمدّ بين ظهراني جهنم أي بين أجزاء ظهرها كأنها محيطة به.

(٢) أي يقطعه ويمضي عليه، يقال: جاز الوادي وأجازه قطعه. حكاه النووي وغيره.

(٣) أي لا يتكلم حين الإجازة على الصراط إلا الرسل وذلك لشدة الهول وعظم الفزع. أما في غيره من المواطن فهم يسأل بعضهم بعضاً، ويلوم بعضهم بعضاً، ويجادل بعضهم بعضاً.

(٤) وهذا الدعاء من الرسل هو لأممهم شفقة عليهم ورحمة بهم.

(٥) جمع خطاف، وهي حديدة يختطف بها.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة ويقولون: اللَّهم سلّم سلّم» قيل: يا رسول اللَّه، وما الجسر؟

فقال ﷺ: **«دحض مزلّة، فيه خطاطيف، وكلاليب(١)، وحسك تكون بنجدٍ فيها شويكة يقال لها: السعدان(٢)، فيمر المؤمن كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب.**

فناجٍ مسلّمٌ، ومخدوش(٣) مرسل، ومكدوس(٤) في نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدّ مناشدة للَّه تعالى في استقصاء الحق من المؤمنين للَّه يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار.

يقولون: ربنا كانوا يصومون، ويصلون، ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرّم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار بعضهم إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه»(٥).

يقول الإمام النووي رضي اللَّه عنه في تفسيره للحديث الشريف: إن الناس على الصراط ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم يسلّم فلا يناله شيء أصلاً.

٢ ـ وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص.

٣ ـ وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم.

فالمؤمنون الصادقون يمرون على الصراط وهم في أمان وسلام

---

(١) جمع كلّوب: حديدة معكوفة الرأس يعلق فيها، ويقال لها: الكلاب.

(٢) قال الزرقاني: السعدان بفتح السين والدال بينهما عين ساكنة مهملة.
سعدان جمع سعدانة: نبات ذو شوك والتشبيه به لسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها.

(٣) أي مخموش ممزّق.

(٤) أي يلقى بعضهم فوق بعض في جهنم.

(٥) رواه مسلم في صحيحه.

يضيء لهم نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة، ويسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ١٢]

ـ عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه قال:

قال رسول اللّه ﷺ «**بشّر المشّائين في الظّلم إلى المساجد بالنور التّام يوم القيامة**».

[رواه ابن ماجهْ وابن خزيمة في صحيحه والحاكم واللفظ له]

فحال كل مؤمن على الصراط أنه يمشي على نور إيمانه الشامل في العملَ والاعتقاد والقول، وتكون قوة النور على قدر قوة إيمانهم.

ـ وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول اللّه ﷺ كان يقول:

«**من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين، وصنعاء، فدون ذلك حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه**»(١).

ـ روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن مسعود رضي اللّه عنه في قوله تعالى: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم ﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرّون على الصراط: منهم مَن نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل

(١) تفسير ابن كثير.

النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً مَن نوره في إبهامه يتّقد مرة ويُطفأ مرة.

ـ وروى الحاكم عن ابن مسعود رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**الصراط كحدّ السيف دحض مزلّة، قال: فيمرّون على قدر نورهم، فمنهم من يمرّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرّ كالطرف، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كشدّ الرجل ويرمل رملاً، فيمرّون على قدر أعمالهم حتى يمرّ الذي نوره على إبهام قدميه تخرّ يد وتعلق يد، وتخرّ رجل وتعلق رجل فتصيب جوانبَه النارُ**»[١].

(١) قال الحافظ المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم واللفظ له.

الورود على النار

ورود المؤمنين على النار:

يقول تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآيتان: ٧١، ٧٢]

هذه الآية الكريمة لها تفسيرات وتأويلات وتحليلات.. فالآية الكريمة تشير إلى أن الناس جميعاً يوم القيامة واردون إلى النار لا محالة كما في تفسير الآية.

والكلام على هذه الآية الكريمة له وجوه متعددة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالورود هنا المرور على الصراط، يقول شارح الطحاوية: واختلف المفسرون في المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴾ ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه مرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾. وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة**». قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ﴾ فقال: ألم تسمعيه قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾. أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم.

وقال العلماء: إن الكلام على هذه الآية الكريمة من وجوه:

أولاً: عموم الورود لجميع الثقلين وأنهم كلَّهم سيردون جهنم يوم القيامة، ثم ينجو من ينجيه اللَّه تعالى ويترك فيها الظالمون.

ثانياً: البحث في المراد بالورود في هذه الآية الكريمة وقد اختلف العلماء في ذلك:

ـ فذهب بعضهم إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الجواز على الصراط لأنه ممدود على النار، قال في المواهب وشرحها: ورجح هذا القول الإمامُ النووي، وروىٰ ابن عساكر عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا: الورود هو المرور على الصراط، وكذا قال الحسن البصري، في رواية البيهقي بلفظ: الورود المرور عليها من غير أن يدخلها، وكذا قاله خالد بن معدان وعكرمة عند البيهقي وغيره.

وذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بالورود هو الدخول، وقد رجح هذا القول العلامة القرطبي، وأخرجه الحاكم عن ابن مسعود والبيهقي عن ابن عباس وقاله جماعة[١].

قال الحافظ ابن كثير: وإلى هذا القول ذهب علي وابن عباس رضي اللَّه عنهم، وعليه جمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى مخبراً عن فرعون وقومه يوم القيامة: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾.

والمعنى: إن فرعون يتقدم قومه إلى النار قائداً لهم كما قادهم

---

(١) كذا في شرح المواهب ٨: ٣٩٣، (الإيمان بعوالم الآخرة) الشيخ عبد اللَّه سراج الدين، طبع في حلب.

في الدنيا حتى يرد بهم النار أي يدخلهم النار، ويدخل معهم بطبيعة الحال. *واستدلوا على ذلك أيضاً بقوله تعالى:* ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ أي يدخلون فيها.

واستدلوا على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ فإن اللّه تعالى أخبر عن نتيجة الواردين فقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

فقد نجى اللّه تعالى المتقين بعدما وردوها، وقد أبقى فيها أي في داخلها الظالمين جاثين على الركب من الزحام والضيق فيها.

فهذا دليل على أن الذين اتقوا أنجاهم اللّه تعالى منها بعدما دخلوها، فأخرجهم ناجين لم يمسسهم سوء، إذ أن النجاة تكون بعد الدخول فيها والتعرض لنيرانها.

المؤمنون الأتقياء يدخلونها دخول مرور وعبور، أما الكفار فإنهم يدخلونها دخول بقاء فيها وقرار.

وأرى أن أصح الأقوال في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ هو المرور على الصراط، وإلا ما معنى المرور على الصراط؟ ولِمَ يضرب الصراط؟ إذا لم تكن الغاية منه أن يمر عليه المؤمنون فيرَوْا النار وعظيم أمرها وحرها ولهيبها، فيحمدوا اللّه سبحانه على أنهم رأوها وما هم داخلين فيها، وكذلك فإن المرور على الصراط حتى يتساقط المنافقون والعصاة وأهل الكبائر، فيرى ذلك المؤمنون المتقون فيحمدون اللّه سبحانه على إنقاذهم مما يرونه من تساقط المنافقين والعصاة.. فلكل شيء حكمه عند اللّه سبحانه.

حكمة ورود المؤمنين ومرورهم على جهنم

قال العلامة المفسر المعروف بالخازن: فإن قلتَ: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب ـ أي في ورودهم جهنم ـ فما فائدة دخولهم النار؟

قلت: فيه وجوه: **أحدها** ـ أن ذلك مما يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منها، أي وأيقنوا بالنجاة من عذابها بعد أن عاينوها، بذلك يفرحون ويطمئنون.

ثانيها ـ أن فيه ـ أي في ورود المؤمنين جهنم ـ مزيدَ غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها ـ بسلام ـ وهم باقون فيها.

ثالثها ـ أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي يكون على الكفار صار ذلك سبباً لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة.

يعني لأنه بضدها تتميز الأشياء، وذلك مما يزيدهم فرحاً بنعيم الجنة وسروراً، وشكراً للَّه تعالى الذي تفضل عليهم بالإيمان والأعمال الصالحة، وتفضل عليهم بقَبولها منهم، وتفضل عليهم بأن نجاهم من عذاب جهنمَ، وتفضل عليهم بأن أدخلهم جنات النعيم ولم يجعلهم في دار الجحيم، ولذلك راحوا يحمَدون اللَّه تعالى ويثنون عليه، فقالوا كما أخبر اللَّه تعالى

عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٣]

خامساً ـ قوله سبحانه في الآية: ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ في هذا يبيِّن سبحانه لعباده أن هذا المرور العام هو مقتضى حكمة ربوبيته سبحانه، وأنه قضى ذلك وحتمه على نفسه فلا محيص للإنسان عنه ولا مخلص له منه.

الأعمال التي يثبت الله تعالى بها قَدَمَيْ صاحبها على الصراط

وقد حضّ النبي ﷺ على تعاطي الأعمال التي يثبّت اللَّه تعالى بها قَدَمَيْ صاحبها على الصراط، فمن ذلك أولاً: ملازمة المساجد: كما جاء عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه: سمعت الرسول ﷺ يقول: «**المسجد بيت كل تقي، وتكفَّل اللَّه لمن كان المسجد بيتَه بالرَّوْح والريحان والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان اللَّه إلى الجنة**».

قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وقال: إسناده حسن، وهو كما قال رحمه اللَّه تعالى. وعزاه الزرقاني أيضاً إلى سعيد بن منصور.

ثانياً: إحسان الصدقة:

وذلك بأن تكون من مال حلال، وأن تقع موقعها، فقد روى أبو نُعيم والأصبهاني مرفوعاً: «**مَنْ أحسن الصدقة جاز على الصراط مُدِلاً**». قال في النهاية: أي منبسطاً لا خوفٌ عليه، وهو من الإدلال.

ثالثاً: إقالة المسلم بيعته وعثرته:

فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أقال مسلماً بيعته أقاله اللَّه عثرته يوم القيامة**». قال المنذري: رواه أبو داود وابن ماجه

وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما.

قال: وفي رواية لابن حبان: «**من أقال مسلماً عثرته أقال اللّٰه عثرته يوم القيامة**».

رابعاً: تيسير الإنسان ما عسر على غيره:

عن عائشة أم المؤمنين رضي اللّٰه عنها قالت: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**من كان وصلةً لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في بلوغ برّ أو تيسير عسير أعانه اللّٰه تعالى على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام**». أي عندما تزل الأقدام عند مرور الصراط.

قال في الترغيب: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في صحيحه.

خامساً: إعانة العباد في حاجاتهم والمشي في قضاء مهماتهم:

عن أنس رضي اللّٰه عنه أن رجلاً جاء إلى رسول اللّٰه ﷺ فقال: يا رسول اللّٰه، أي الناس أحبّ إلى اللّٰه؟ فقال: «**أحبُّ الناس إلى اللّٰه أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى اللّٰه عزَّ وجلَّ سرور تدخله على مسلم: تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحبُّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ اللّٰه قلبه يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيَها له يثبت اللّٰه قدميه يوم تَزِلُّ الأقدام**». رواه الأصبهاني وابن أبي الدنيا. وعند ابن حبان: «**من أعان عبداً في حاجته ثبَّت اللّٰه له مقامهُ يوم تزلّ الأقدام**».

سادساً: حماية المؤمن من منافق:

فعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي اللّٰه عنه عن

النبي ﷺ قال: « من حمى مؤمناً من منافق بعث اللّه له ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً يريد به شَينه حبسه اللّٰه على جسر جهنم حتى يخرج مما قال».

[رواه أبو داود]

الصراط لغة وشرعاً ومعتمد أهل السُّنَّة فيه

الصراط لغةً: الطريق الواضح.

الصراط شرعاً: جسر ممدود على متن جهنم، يرِده الأوَّلون والآخرون.

... وقد بيَّن السفّاريني ـ موقف الفرق من الصراط وهل هو صراط مجازي أو حقيقي؟ ثم قرر مذهب أهل الحق الذي دلَّت عليه النصوص فيه، فقال: «**اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أتباعه زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾**.

[سورة محمد، الآية: ٥]

وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٢٣]

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجبَ من المشي على الماء أو الطيران في الهواء، أو الوقوف فيه، وقد أجاب ﷺ عن سؤال حشر الكافر

على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك، وأنكر العلامة القَرَافي كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وسبقه إلى ذلك شيخه العز ابن عبد السلام، والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة، من أنه جسر مضروب على متن جهنم عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون».

[لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٩٢]

ذكر القرطبي مذهب القائلين بمجازية الصراط، المؤولين للنصوص المصرحة به، فقال: «ذهب بعض من تكلم على الأحاديث إلى وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف، أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا اللَّه تعالى لخفائها وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيقاً، فضرب المثل بدقة الشعر فهذا من هذا الباب، ومعنى قوله: أحد من السيف أو الأمر الدقيق الذي يصعد من عند اللَّه تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد، وأما أن يقال: إن الصراط نفسه أحدّ من السيف وأدق من الشعر فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه، وأن فيه كلاليب وحسكاً، أي إن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل، ثم يقوم، وفيه أن من الذين يمرون عليه من يُعطى النور بقدر موضع قدميه، وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ الأقدام، ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله ثم ردّ مقالتهم، فقال: «ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن،

فيجريه أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة في ذلك للآثار المروية في ذلك، وبيانها بنقل الأئمة العدول، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»[١].

وقد بيَّن شارح الطحاوية معتقدَهُ في الصراط المذكور في الأحاديث قال:

[ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»][٢].

(١) التذكرة للقرطبي صفحة ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٢) شرح الطحاوية صفحة ٤٦٩.

الخوف من زلة الأقدام والفزع الأكبر في المرور على الصراط

إن لورود العباد جهنم ومرورهم على الصراط المضروب بين ظهرانيها، فزعاً في قلوب الواردين، وخوفاً من زلة الأقدام والتردي في نار جهنم، وقد نبَّه النبي ﷺ إلى خطورة ذلك الورود حيث قال: «**ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أولَ من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللَّهم سلّم اللَّهم سلّم**».

فما أعظم ذلك المرور وما أخطره حتى إن جميع المارين لزموا الصمت فلا كلام إلا من الرسل، وكلام الرسل يومئذ سلّم سلّم، فراحوا يدعون اللَّه تعالى لأتباعهم أن يجعلهم اللَّه تعالى في سلام وأمان بحيث يجتازون الصراط سالمين آمنين من المخاوف والمكاره.

فما أرحم الرسل بأتباعهم وما أشد رأفتهم وعطفهم على الذين آمنوا بهم! وتمسكوا حق التمسك بشريعتهم، لقد أهمهم أمرُ أتباعهم من مفزعات الصراط ومخاوفه.

وأعظمهم رحمة وأشدهم رأفة سيدنا محمد ﷺ الذي قال اللَّه تعالى فيه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾. وقال تعالى فيه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ صلوات اللَّه تعالى وسلامه عليه وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين.

روى الإمام مسلم عن حذيفة وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يجمع اللَّه الناس...**» فذكر الحديث إلى أن قال: «**فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل معه الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق**» قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمرّ البرق؟

قال: «**ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرْفة عين؟. ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم. ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلّم سلّم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج، ومكدوس في النار...**» الحديثَ.

فاللَّه تعالى ينجي المتقين قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾... الآية، ويجعلهم في أمن وأمان.

قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ اللَّهم اجعلنا منهم، ولما كان المرور على الصراط خطيراً، بيَّن النبي ﷺ أن الذين تزلّ أقدامهم حين يمرون على الصراط هم كثيرون.

روى البيهقي عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن على جهنم جسراً أدق من الشعر وأحد من السيف أعلاه نحو الجنة ـ دحض مزلة، بجنبيه كلاليب وحسك النار، يحشر اللَّه به من يشاء من عباده، الزالون والزالات يومئذ كثير**»[(١)].

اللَّهم اجعلنا من الذين يجوزون صراطك كالبرق الخاطف، ولا تجعلنا من الزَّالين والزَّالات يا أرحم الراحمين.

---

(١) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، الشيخ عبد اللَّه سراج الدين رحمه اللَّه.

الفرح والسرور في عبور الصراط والنجاة من النار وأهوالها

إلى طريق اللَّه أدعوك وإلى جنات الخلد أستضيفك وإلى رضا اللَّه أرجوك، وتوهّم نفسك أنك أصبحت في نهاية يوم القيامة، وكنت من الذين منّ اللَّه عليهم وجزت الصراط وأهواله، وهو آخر المطاف من يوم دام في مقداره خمسين ألف سنة، وبعد هذا التصوّر، تصوَّر نفسك والعياذ باللَّه أنك ممن وقع من على الصراط وتخطفته الأشواك بأمر اللَّه وكان من زمرة أهل جهنم. ثم توهّم نفسك أنك من أهل العفو وجزت الصراط الذي يضرب بين ظهراني جهنم، ونورك معك يسعى بين يديك وعن يمينك، مبيضٌّ وجهُك بعد أن حاسبك اللَّه سبحانه وأيقنت برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمر العابدين ووفود المتقين والشهداء والأبرار والصالحين، والملائكة، والرسل، لهول الصراط والمرور عليه تنادي: اللَّهم سلّم سلّم، والوجل والخوف لا يفارقك والقلوب في الحناجر تنادي وينادي المؤمنون معك: ﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ .

وتدبَّر أمرك والمنافقون يسقطون من على الصراط واحداً تلو الآخر تتخطفهم الكلاليب والشوك، وقد طفئ نورهم، وهاج الوَجل في قلوبهم وهم عمي وبكم وصمّ، فتوهّم نفسك أيها المؤمن وقد انتهيت إلى آخر الصراط وقد سلّمك اللَّه من أهواله فغلبت على قلبك النجاة، واشتاقت نفسك إلى رضا اللَّه حتى صرت إلى آخره، خطوت

بأحد رجليك إلى العَرَصة التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة فوضعتها على العَرَصة التي بعد الصراط، ولا تزال قدمك الثانية على الصراط والخوف والأمل قد اعتليا في قلبك وغلبا عليك رهبة ورغبة، ثم ثنيت برجلك الأخرى فجزت الصراط كلَّه، واستقرت قدماك الاثنتان على تلك العَرَصة، ثم زلّت عن الجسر ببدنك كله وخلفته وراء ظهرك، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليها، وتثب على من زلّ عنه مغتاظة تزفر عليه وتشهق إليه، ثم التفتّ إلى الجسر فنظرت إليه باضطرابه ونظرت إلى الخلائق من فوقه وإلى جهنم من تحته تثب وتزفر على الذين زُلزلوا عن الصراط، لها في رؤوسهم صيد وانقضاض، فطار قلبك فرحاً إذا رأيت عظيم ما نجاك اللَّه منه فحمدت اللَّه وازددت له شكراً إذ نجوت رغم ضعفك وقلة حيلتك من النار، وخلفتها تزعق وتشهق بأعناقها الممتدة إلى الجسر تخطف كل عتلٍّ جبار سعى في الأرض فساداً، وأبى غروراً أن يكون من الطائعين العابدين.

فما أعظمها من لحظة وأنت تتوجه إلى جوار ربك، وخطوت آمناً من أي فزع إلى باب الجنة، وقد امتلأ قلبك سروراً وفرحاً، فلا تزال في ممرك بالفرح والسرور حتى توافي أبوابها، فإذا وافيت بابها استقبلك بحسنه، فنظرت إلى حسنه ونوره وحسن صورة الجنة وجدرانها، وقلبك مستطير فرح مسرور، متعلق بدخول الجنة مع أولياء الرحمن فتصوَّر نفسك أنت من أهل هذا الموكب وهم أهل الكرامة والرضوان، مبيضة وجوههم مشرقة برضا اللَّه مسرورون مستبشرون، وقد وصلت إلى باب الجنة بعد حرّ المقام ووهج تعب مرهق مرّ معك، ثم نظرت إلى العين التي أعدها اللَّه لأوليائه وعباده الذين ارتضاهم في جناته ـ وإلى حسن مائها فانغمست فيها مسروراً لما وجدت من برد مائها

وطيبها فذهب عنك بحزن المقام وطهرك من كل دنس وخبث.

وتصوَّر فرحة فؤادك لما باشر برد مائها بدنك، بعد حرّ الصراط ووهج القيامة وأهوالها، وأنت فرح لعلمك أنك إنما تغتسل لتتطهر لدخول الجنة والخلود فيها، وقد أصبح بالنسبة إليك يوم القيامة وأهواله الذي امتد في أهواله خمسين ألف عام سراباً ماضياً، ثم تخرج من هذا المغتسل في أحسن صورة وأتم نور، ثم تقصد العين الأخرى فتتناول من بعض آنيتها وهي من ذهب، وتصوّر حسن الإناء وحسن الشراب حتى إذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته وجدت طعم شراب لم تذق مثله، وذلك لتطهر قلبك من كل غِلٍّ وحسد، وبعد أن تستكمل طهارة القلب والبدن ويستكمل أحبّاء اللَّه ذلك معك، واللَّه مطلع يراك ويراهم وقد تفرّغ اللَّه لنا[1] لإكرامنا ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٣١]

أمر اللَّه الكريم المتحنن على عباده وأوليائه خزان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين وجلين، فانحدروا من قصورها ودورها وساحاتها وأتوا باب الجنة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها وسمعت حسن صرير أبوابها فعلاك السرور وغلب على فؤادك، فيا سرور وحبور المفتوح لهم باب جنة رب العالمين، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جري مائها فنفح وجهك وجميع بدنك، وثارت أراييح الجنة العبقة الطيبة وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المُونّق وكافورها الأصفر وعنبرها الأشهب، وأرياح طيب ثمارها وأشجارها ونسيمها

(١) الإمام المحاسبي (التوهم في أهوال الآخرة).

فتداخلت جميع تلك الأراييح الفواحة ودخلت في صدرك وأنفك ووصلت إلى دماغك، وصار طيبها في قلبك وفاض من جميع جوارحك، ثم نظرت قبل أن تدخل إلى حسن قصورها وتأسيس بناياتها ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ المبنى من طرائق الجندل الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد سطع منه نوره وبهاؤه وصفاؤه ونظرت إلى حجب اللَّه وآياته التي أخفاها عنك ووعدك بها وبرؤيتها ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ وها أنت أمامها وأمام وعد اللَّه وصدقه.

وهذا كله قد أكمله اللَّه في الصفاء والنور ومازجه نور ما في الجنان ونظرت إلى هذا، وفرح فؤادك لمعرفتك إذا دخلتها، فإن لك فيها ما لم يخطر على قلب بشر وفيها الزيادات والمزيد وليس بمخرج منها، وليس فيها تعب ولا نصب وفيها النظر إلى وجه ربك الكريم.

فتصوَّر وتخيل نفسك أنك مع الناجين وقد تفضل اللَّه عليك.

ثم أقبلت الملائكة وفتحت أبواب الجنة وأقبلوا عليك ضاحكين في وجهك ووجوه من معك من أولياء اللَّه، ونادوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وأتبعوا السلام بقولهم: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. ولما سمعت من الملائكة ـ العظام الذين ينهال النور من أعتاب وجوههم، وقد أشعلت مداخل الجنة بأنوار مبهجة فرحة ـ بادرت الباب بالدخول فاكتظت الأبواب من الزحام، فما ظنك بباب مسيرة أربعين عاماً كظيظ من زحام أولياء اللَّه، فأنعِمْ بهم من مزدحمين مبادرين إلى ما قد نظروا وعاينوا في دخولهم من حسن القصور التي هي من الياقوت والدر والذهب، فلما جاوزت الباب بفضل اللَّه ووضعت قدميك على

تربتها وهي مسك أذفر ونبت الزعفران المُونّق والمسك على أرض من فضة والزعفران نابت حولها وهي أول خطوة خطوتها في أرض البقاء والخلود، قد أمنت عذاب اللَّه وأمنت من الموت الذي فرَّ من المؤمنين بلا عودة ولا خوف منه.

وتخيل نفسك وقد أصبحت تتخطى من ترب المسك ورياحين الزعفران وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة قصورها، وبينما أنت تتخطى في عَرَصات الجنان في رياض الزعفران وكثبان المسك إذ نودي في ولدانك وغلمانك وأزواجك من الحور العين إن فلاناً بن فلان ابن فلانة قد أقبل، فأجابوا متهللين مستبشرين لقدومك فتكون الأفراح، وتستقبل استقبالاً عظيماً في ملك عظيم ونعيم كبير كل شيء فيه سرور وحبور، فالأرض تغني والأشجار تطرب وكل ما خلق اللَّه من جمال يرقص بين يديك بهجاً ومسروراً.

إني أدعوك إلى هذا فهل تستجيب وهل لك رجاء وأمل غير هذا؟ جعلني اللَّه وإياك من أهلها وساكنيها ووارثيها وملّاكها، واللَّه على كل شيء قدير، واللَّه أعلم.

عند العبور
على الصراط تبدّل الأرض
غير الأرض والسماوات

لقد وعد اللّه سبحانه في كتابه الكريم أن الأرض ستبدل يوم القيامة غير الأرض وكذلك السماوات. . . . ولو عدنا إلى الجزء الرابع من الموسوعة عندما تحدثنا عن الحشر وقيام الساعة وانفطار السماوات وتشققها وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتسجير البحار. . فقد بينّا عظيم أمر السماء الدنيا وما فيها من آلاف المليارات من المجرّات والتي تحوي كل مجرة أكثر من مائة مليار كوكب ونجم. . كل هذا كما وعد اللّه سبحانه أنها تبدل وتطوى كما يطوي السجل الكتب.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

والسؤال متى يتم تبديل اللّه سبحانه الأرض بغير الأرض والسماوات بغيرها؟؟ وفي أي مرحلة من مراحل يوم القيامة يتم هذا التبديل؟؟

. . . . لقد أخبرنا رسول اللَّه ﷺ أن الوقت الذي يتم فيه هذا التبديل هو عند مرور المؤمنين على الصراط أو قبل ذلك بقليل.

ـ عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «**سألت رسول اللَّه ﷺ عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ . . . فأين يكون الناس يا رسول اللَّه؟ فقال: على الصراط**»[(١)].

ـ عن ثَوْبان رضي اللَّه عنه أن حِبراً[(٢)] من أحبار اليهود سأل رسول اللَّه ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر**»[(٣)] والمراد بالجسر الصراط.

(١) صحيح مسلم. باب البعث والنشور (٤/ ٢١٥٠) رقم الحديث (٢٧٩١).
(٢) حِبْر والجمع أحبار، وحَبْر: الجمع حبور.
(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٥٢) ورقم الحديث (٣١٥).

الفصل الخامس

أنواع الشفاعات

ـ مدخل .

ـ أنواع الشفاعات وأصحابها الذين ارتضى اللّه لهم الشفاعة .

أولاً : شفاعة رسول اللّه ﷺ .

١ ـ شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته .

٢ ـ شفاعته ﷺ لقوم حوسبوا واستحقوا العذاب .

٣ ـ اختبأ رسول اللّه ﷺ دعوته المستجابة ليوم القيامة شفاعة لأمته .

٤ ـ شفاعته في إخراج عصاة المؤمنين من النار على درجات وطبقات مختلفة في المدة .

٥ ـ بشفاعة رسول اللّه ﷺ أسعد الناس من قال : لا إلٰه إلا اللّه خالصاً من قلبه .

٦ ـ شفاعته ﷺ تنال من سأل له ﷺ الوسيلة والمقام المحمود عند سماع الأذان .

٧ ـ أولى الناس بشفاعته ﷺ أكثرهم عليه صلاة .

ـ شفاعة الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والعلماء وحملة القرآن وعامة المؤمنين الصالحين .

أولاً : شفاعة الأنبياء والصديقين والشهداء .

ثانياً : شفاعة العلماء .

ثالثاً : شفاعة حملة القرآن الذين أحلوا حلاله وحرّموا حرامه .

رابعاً : شفاعة الملائكة .

خامساً : شفاعة المؤمنين .

ـ شفاعة أرحم الراحمين .

ـ حديث الصراط والشفاعة : الحديث الأول .

ـ حديث الصراط والشفاعة : الحديث الثاني .

أنواع الشفاعات

مدخل:

. . . . إن من أعظم وأهم أمور يوم القيامة (الشفاعةَ) إذ جعلها اللَّه سبحانه في المؤمنين رحمة بهم دون العالمين. . فلا شفاعة لكافر أو مشرك ولا شفاعة لعاصٍ مصرٍّ على معصية إلا من بعد أن يأذن اللَّه سبحانه.

ولعظيم أمر الشفاعة عند اللَّه سبحانه فقد ذكرها في كتابه الكريم في أكثر من آية كريمة. . فاللَّه سبحانه يعلم حق العلم كم يكون الناس في هذه المواقف العصيبة في يوم القيامة متطلعين ومتلهفين للشفاعة.

فالشفاعة محور رئيس لكثير من مواطن مواقف يوم القيامة، ولكن اللَّه سبحانه لا يعطيها إلا لمن يستحقها وكان أهلاً لها، واللَّه سبحانه أعلم بخلقه جميعاً ملائكةٍ وإنسٍ. . لذلك لا يأذن بها إلا لمن ارتضى له قولاً.

يقول اللَّه تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

ويقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٢٨]

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٣]

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا * لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٨٥ ـ ٨٧]

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾.

[سورة طه، الآيتان: ١٠٨، ١٠٩]

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٢٣]

ـ ويبيِّن اللَّه سبحانه أن الملائكة أيضاً لا يشفعون لأحد من خلقه إلا بعد أن يأذن الرحمن لمن يشاء منهم.

يقول تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٢٦]

ـ ثم يبيِّن اللَّه سبحانه أن الشفاعة العظمى له وحده دون خلقه جميعاً.

يقول تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٤٤]

ويقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٣]

هذه بعض الآيات الكريمة التي ذكرها اللَّه سبحانه عن الشفاعة، وبيَّن فيها سبحانه أنه هو الشفيع الأول والأخير لعباده وهذا ما سيظهر عندما يشفع في عباده ويخرجهم من النار ويعفو عنهم.. وكذلك بيّن اللَّه سبحانه أن الشفاعة أمر عظيم لا يملك أمرها إلا اللَّه سبحانه، فهو الذي يختار من خلقه من يشاء ليجعلهم من بعد إذنه شفعاء يوم القيامة... ولا شك أن صاحب الشفاعة العظمى والأولى هو سيد الخلائق جميعاً سيدنا محمد ﷺ.. حيث يشفع الشفاعة العظمى في أن يبدأ اللَّه سبحانه بفصل القضاء والعرض عليه والحساب، وقد مرّ معنا الحديث بطوله عندما تحدثنا عن الشفاعة العظمى.

ولكن العباد من المؤمنين يحتاجون إلى شفاعات كثيرة منها ما يكون عند الميزان، ومنها ما يكون عند الصراط، ومنها ما يكون في إخراج كثير منهم من النار ومن أهل الكبائر.. وكذلك فإن اللَّه سبحانه يشفّع من عباده بعد سيدنا محمد ﷺ الأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء وكثيراً من الناس حتى يشفع الوالد لولده والوالدة لولدها والمؤمن للمؤمن.

أنواع الشفاعات وأصحابها الذين ارتضى اللَّه لهم الشفاعة

أولاً: شفاعة رسول اللَّه ﷺ:

تحدّثنا في الجزء السادس من الموسوعة عن الشفاعة العظمى لرسول اللَّه ﷺ في بدء فصل القضاء والحساب. . . . ولكن لرسول اللَّه ﷺ شفاعات كثيرة لأمته يأذن اللَّه سبحانه بها لرسوله الكريم ﷺ تعظيماً لمقامه ومكانته عند رب العالمين.

١ ـ شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته:

ـ عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: «**خُيِّرْتُ بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة؟ فاخترت الشفاعة، لأنها أعمّ وأكفى، أما إنها ليست للمؤمنين المتقدمين ولكنها للمذنبين الخطّائين المتلوثين**»[(١)].

٢ ـ شفاعته ﷺ لقوم حوسبوا واستحقوا العذاب:

عن حذيفة وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما قالا: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**يجمع اللَّه تبارك وتعالى الناس فيقوم، المؤمنون حتى تزلف** (أي تقرّب) **لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى إبراهيم خليل اللَّه تعالى.**

(١) رواه أحمد والطبراني وابن ماجه، واللفظ للطبراني وقال في الترغيب: إسناده جيد.

قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمِدوا إلى موسى الذي كلَّمه اللَّه تكليماً، فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة اللَّه وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك.

فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له ـ أي بالشفاعة ـ وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً ـ (أي تقومان لتطالبا المارين على الصراط بحقهما) فيمر أوّلكم كالبرق». قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه: أي شيء كالبرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمرّ، حتى تعجِز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط ـ أي على جانبيه ـ كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار». والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً(١).

معاني بعض الكلمات: المخدوش الناجي: هو المجروح الذي خدش ولكنه نجّي من الوقوع في النار، والمكدوس هو الواقع في النار.

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يوضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه ـ قائماً بين يدي ربي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول اللَّه عزَّ وجلَّ: يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك؟

فأقول: يا رب عجّل حسابهم، فيدعى بهم فيحاسبون، فمنهم من

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

يدخل الجنة برحمته، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أُعطى صكاكاً ـ أي كتباً ـ **برجال قد بعث بهم إلى النار، حتى إن مالكاً خازن النار ليقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة»** .

[رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في البعث]

وعن علي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى فيقول: أقد رضيت يا محمد؟ فأقول: أي ربّ قد رضيت»**(١) .

٣ ـ اختبأ رسول اللّه ﷺ دعوته المستجابة ليوم القيامة شفاعة لأمته:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **لكلّ نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبيّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء اللّه من مات لا يشرك باللّه شيئاً»**(٢) .

والمراد أن لكل نبي دعوة تتعلق بعامة أمته محقّقة الإجابة، كما بيّن ذلك القاضي عِياض رحمه اللّه تعالى، فإن أدعية الأنبياء مجابة، اختبأ رسول اللّه ﷺ دعوته إلى يوم القيامة.

ولو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن الأنبياء عليهم السّلام استعملوا دعوتهم على أقوامهم في الدنيا.

يقول اللّه تعالى مبيناً دعوة الأنبياء واستجابة اللّه سبحانه لها: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ .

[سورة المؤمنون: الآيتان: ٣٩، ٤٠]

---

(١) رواه الطبراني والبزار وقال في الترغيب: إسناده حسن.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

وكذلك دعا نوح على قومه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآية: ٢٦]

وقال النووي في تفسير هذا الحديث الشريف الذي رواه مسلم.

قال الإمام النووي رضي اللَّه عنه: وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخّر دعوته لأمته إلى أهمّ أوقات حاجاتهم.

عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال: **« يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمّون الجهنميين »**(١).

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« يدخل من أهل هذه القبلة النارَ مَنْ لا يحصي عددهم إلا اللَّه بما عصوا اللَّه واجترؤوا على معصيته وخالفوا طاعته ». قال ﷺ: **« فيؤذن لي في الشفاعة، فأثني على اللَّه ساجداً كما أثني عليه قائماً، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفّع »**(٢).

٤ ـ شفاعته ﷺ في إخراج عصاة المؤمنين من النار على درجات وطبقات مختلفة في المدة:

روى الشيخان عن أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **« إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم اللَّه، فيأتون موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح اللَّه وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست لها، ولكن**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في الكبير والصغير بإسناد حسن.

عليكم بمحمد ﷺ، فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامدَ أحمَده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفّع، فأقول: يا ربّ أمتي أمتي! فيقال: انطلق،فأخرج منها ـ أي النار ـ من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربّ أمتي أمتي! فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربّ أمتي أمتي! فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبّة خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربّ ائذن لي فيمن قال: لا إلٰه إلا اللّٰه، قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال: لا إلٰه إلا اللّٰه»[١].

٥ ـ أسعد الناس بشفاعة رسول اللّٰه ﷺ من قال: لا إلٰه إلا اللّٰه خالصاً من قلبه:

ـ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أنه قال: قلت: يا رسول اللّٰه، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول اللّٰه ﷺ: **«لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولُ منك لما رأيت من حرصك على الحديث؛ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إلٰه إلا اللّٰه خالصاً من قلبه أو نفسه»[٢].**

---

(١) رواه البخاري ومسلم، الفتح ١٧ / ٢٢٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

٦ ـ شفاعته ﷺ تنال من سأل له ﷺ الوسيلة والمقام المحمود عند سماع الأذان:

ـ عن ابن عمرو رضي اللَّه عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى اللَّه عليه بها عشراً، ثم سلوا اللَّه لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل اللَّه لي الوسيلة حلّت له الشفاعة**»(١).

ـ عن جابر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللَّهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلّت له شفاعتي يوم القيامة**»(٢).

وزاد البيهقي في روايته: «**إنك لا تخلف الميعاد**».

٧ ـ أولى الناس بشفاعته ﷺ أكثرهم عليه صلاة:

.. وفي هذا بيان عظيم لفضل الصلاة على النبي ﷺ فأكثروا عليه من الصلاة والسلام عسى أن تنالنا شفاعته ﷺ ونحن بأمس الحاجة إليها يوم القيامة.

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أولى الناس بي يوم القيامة** ـ أي أحقهم بشفاعتي وبإكرامي ـ **أكثرهم عليّ صلاةً**»(٣).

عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من صلّى عليّ حين يصبح عشراً: أدركته شفاعتي يوم القيامة**»(٤).

---

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن.
(٢) رواه البخاري وأصحاب السنن.
(٣) رواه الترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه.
(٤) رواه الطبراني بسند جيد.

شفاعة الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء والعلماء وحملة القرآن وعامة المؤمنين الصالحين

قال اللَّه تعالى في الكفار والمشركين يوم القيامة: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾. [سورة المدثر، الآية: ٤٨]

فدلّت الآية أن هناك من المؤمنين شفعاء يشفعون.

أولاً: شفاعة الأنبياء والصديقين والشهداء:

عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه وفيه: فيقول ﷺ: «**أي ربّ جعلتني سيّد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليرد عليّ الحوض أكثر ممَّا بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادعوا الأنبياء فيجيء النبي ومعه العصابة** (أي الجماعة الكثيرة) **والنبي معه الخمسة والستة، والنبي ليس معه أحد، فيشفعون ثم يقال: ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون فيمن أرادوا . .**»[(١)].

ثانياً: شفاعة العلماء:

عن عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**يشفع يوم القيامة ثلاثٌ: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**»[(٢)].

ثالثاً: شفاعة حملة القرآن الذين أحلوا حلاله وحرَّموا حرامه:

عن علي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من قرأ**

---

(١) رواه الإمام أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه (ترغيب المنذري).

(٢) رواه ابن ماجهْ.

القرآن فاستظهره (أي أجاد حفظه) **فأحلّ حلاله وحرّم حرامه: أدخله اللَّه الجنة وشفّعه في عشرة من أهل بيته قد وجبت لهم النار»**(١).

رابعاً: شفاعة الملائكة:

وجاء في الحديث الطويل المتفق عليه وفيه أن النبي ﷺ قال: **«فيقول اللَّه تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين. .»** الحديث.

خامساً: شفاعة المؤمنين:

وعن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: **«سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: ليدخلنّ الجنة بشفاعة رجل ليس بنبيّ مثلُ الحيّين ربيعة ومضر، فقال رجل: يا رسول اللَّه، وما ربيعة من مضر؟ فقال ﷺ: إنما أقول ما أُقَوّل»**(٢).

عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: **«يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مضر، ويشفع الرجل في أهل بيته، ويشفع على قدر عمله»**(٣).

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يصفّ أهل النار فيمرّ بهم أهل الجنة، فيقول الرجل منهم:** (أي من أهل النار) **يا فلان، أما تعرفني؟ أنا الذي سقيتك شربة، وقال بعضهم: أنا الذي وهبت لك وَضوءاً** (أي ماء للوضوء)، **فيشفع له** (أي ذلك المؤمن الصالح) **فيدخله اللَّه الجنة»**(٤).

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد كما قال في الترغيب.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه ابن ماجه.

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من أمتي من يشفع للفئام (أي للجماعات والقبائل) ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل، حتى يدخلوا الجنة**»(١).

وأما كيف تتم الشفاعة فقد أوضح في (المرقاة) أن المراد بأهل النار المشفوع لهم هنا هم عصاة المؤمنين فإنهم يصفون حتى يمر بهم أهل الجنة من العلماء الأخيار والصلحاء الأبرار. قال: وتكون هيئة العصاة على هيئة المساكين السائلين في طريق الأغنياء في هذه الدار.. هكذا قال في المرقاة.. ونقول: واللَّه أعلم.

شفاعة أرحم الراحمين:

شفاعة اللَّه سبحانه وهو أرحم الرّاحمين تبقى حتى يشفع رسول اللَّه ﷺ والأنبياء والصدّيقون والشهداء والعلماء وحملة القرآن والمؤمنون ـ ذلك أنها الشفاعة التي فيها كامل الرحمة من أرحم الراحمين.. فبرحمة اللَّه سبحانه لا يبقى في النار من شهد أن لا إلٰه إلا اللَّه ـ فاللَّه سبحانه له الشفاعة جميعاً، وهو الخالق المقتدر الرحمن الرحيم الذي أذن بالشفاعة لمحمد ﷺ والأنبياء والشهداء والصديقين والعلماء والمؤمنين إكراماً لهم جميعاً، ولكن اللَّه سبحانه أكرمُهم وأرحمهم وله الشفاعة كلها التي لا يقدر عليها سواه.

يقول تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٤٤]

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه.

وفي الحديث الشريف الطويل المتفق عليه وفيه أن النبي ﷺ قال:

« فيقول اللَّه تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الرّاحمين».

[متفق عليه]

.... ولأهمية الشفاعة وبيان مقامها فإن في حديث (الصراط) عن رسول اللَّه ﷺ روايتين يبيِّن فيهما ويوضح كيف يشفع اللَّه سبحانه ـ بعد أن يأذن لمن ارتضى من خلقه بالشفاعة ـ فيخرج من النار أقواماً قد امتحشتهم النار ردحاً من الزمن، جراء عظيم معاصيهم وذنوبهم وآثامهم، ولقد وجدتُ في الحديثين الشريفين أعظم ما قيل في الشفاعة بعد الحديث عن الصراط ومرور المؤمنين عليه، وهما حديثان صحيحان ومتفق عليهما.

حديث الصراط والشفاعة (الحديث الأول)

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قلنا: «**يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون**[1] **في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً**»؟ قلنا: لا، قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما**»، ثم قال: «**ينادي منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل إله مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من بر أو فاجر وغبرات**[2] **من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن اللَّه، قال: كذبتم لم يكن للَّه صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن اللَّه، فيقال: كذبتم لم يكن للَّه صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من بر وفاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم**[3]، **وإنا سمعنا منادياً**

---

(١) تضارون: رويت بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيها ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو غيرها لخفائه، ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضر، وهو الضرر.

(٢) غبرات: أي بقاياهم جمع غابر.

(٣) أي فارقناهم في الدنيا لما زاغوا مع احتياجنا لهم ولزمنا طاعته سبحانه، فهم يتضرعون إلى اللَّه سبحانه أن يكشف هذه الشدة عنهم.

ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا ـ وفي رواية عند البخاري [(١)] ـ فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم اللَّه في صورته التي يعرفون ـ فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد للَّه رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً [(٢)]، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم » [(٣)] قلنا: يا رسول اللَّه، وما الجسر؟ [(٤)] قال: «مدحضة مزلة [(٥)] عليه خطاطيف وكلاليب [(٦)] وحسكة [(٧)] مفلطحة [(٨)] لها شوكة عقيفة [(٩)] تكون بنجدٍ يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليه كالطرف [(١٠)] وكالبرق وكالرياح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار

---

(١) الفتح: ١٧/ ١٩٧.

(٢) الطبق: فقار الظهر، أي صار فقاره واحداً، كالصفيحة لا يقدر على السجود للَّه تعالى.

(٣) وفي رواية عند مسلم قال: «قال: فما تنظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك لا نشرك باللَّه شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً ـ حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه إلا أذن اللَّه له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل اللَّه ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر فيها أول مرة على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا ». مسلم ١٨٣.

(٤) الجسر بفتح الجيم وكسرها وهو الصراط.

(٥) مدحضة مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضوع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

(٦) الخطاطيف والكلاليب: جمع خطاف وكلوب أو كلاب. والخطاف حديدة حجناء أي معوجة، والكلوب أيضاً حديدة معطوفة الرأس.

(٧) الحسكة: شوكة صلبة معروفة.

(٨) مفلطحة: أي عريضة.

(٩) عقيفة: أي ملوية كالصنارة.

(١٠) كالطرف: أي أنه يمر بسرعة الطرْف، وهو إطباق الجفن على الجفن.

جهنم[١] **حتى يمر آخرهم يسحب سحباً، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبيَّن لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم**[٢] **يقولون: ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون**[٣] **معنا، فيقول اللّه تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرِّم اللّه صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا»**، قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

« فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا[٤] **فيلقون في نهر بأفواه الجنة في حميل السيل**[٥]**، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جنب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدَّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه »** متفق عليه[٦].

---

(١) معناه أن أصحاب الصراط ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكدس ويسقط في جهنم مكدوس في النار أو مدفوع.

(٢) أي العصاة الذين سقطوا في النار.

(٣) وفي رواية: ويحجون.

(٤) امتحشوا: أي احترقوا.

(٥) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين وغيره.

(٦) الفتح ١٧ / ١٩٨، ومسلم ١٨٣.

حديث الصراط والشفاعة (الحديث الثاني)

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال أناس يا رسول اللَّه، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه السحاب**»؟ قالوا: لا يا رسول اللَّه، قال: «**فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع اللَّه الناس، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت**[١] **الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم اللَّه في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللَّه منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم اللَّه في الصورة التي يعرفون** (أي الصفة التي يعرفون)، **فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب**[٢] **جسر جهنم**»، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فأكون أول من يجوز ودعاء الرسل يومئذ اللّهم سلّم سلّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان**[٣]**، أما رأيتم شوك السعدان؟ غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق**[٤]

---

(١) الطواغيت: جمع طاغوت وهو كل ما عبد من دون اللَّه تعالى.

(٢) أي يمد الصراط على جهنم.

(٣) السعدان: نبت مستدير يكون بحجم الأظفر وله شوك معقوف من كل الجوانب.

(٤) الموبق: أي المهلك.

بعمله ومنهم المخردل[١] ثم ينجو، حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرّم اللَّه على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتُحِشوا، فيصب عليهم الماء، يقال له: ماء الحياة فينبتون نبات الحبَّة في حَميل السيل، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قشبني ريحها[٢] وأحرقني ذكاؤها[٣]، فاصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعو اللَّه فيقول: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره! فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قرّبني إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فلا يزال يدعو، فيقول: لعلّي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره! فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي للَّه ما يشاء من عهد وميثاق أن لا يسأله غيره فيقرِّبه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء اللَّه أن يسكت ثم قال: ربِّ أدخلني الجنة، ثم يقول: أو ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: يا ربِّ! لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل: تمنّ من كذا، فيتمنى، ثم يقال له: تمنّ من كذا، فيتمنى حتى تنقطع به الأماني، فيقول: هذا لك ومثله معه». قال

---

(١) المخردل: أي المقطع بالكلاليب.

(٢) قشبني: أي سمَّني وآذاني وأهلكني.

(٣) ذكاؤها: أي لهبها وشدة وهجها.

أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً.. قال عطاء: وأبو سعيد جالس مع أبي هريرة لا يغيِّر عليه شيئاً من حديثه حتى انتهى إلى قوله: «**هذا لك ومثله معه**». قال أبو سعيد: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: هذا لك وعشرة أمثاله. قال أبو هريرة: حفظت «**مثله معه**». متفق عليه[1].

(١) الفتح ١٤/ ٢٣١، ومسلم ١٨٢.

الخاتمة

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأشكره على ما أنعم عليَّ من نعمة عظيمة فأتممت بها هذا الجزء من الموسوعة.. وأرجو اللّه سبحانه أن أكون قد أحسنت في جميع فِقراته وقدَّمت فيها ما يرضيه من الحق والصواب.. ولقد عملت بفضل اللّه كل جهدي في أن تكون الفقرات والمواد المقدمة في هذا الجزء صحيحةً ومتكاملة وبيِّنة وواضحة وسهلة القراءة والفَهم.

.. ولقد قرأتم كم كانت المواقف مهيبة ومخيفة ومفزعة، وكم كنا بأمسِّ الحاجة إلى الشفاعة وأولها شفاعة الحبيب المصطفى ﷺ.

فالشفاعة هي من أهم وأعظم الأمور يوم القيامة، ولولا أن يأذن اللّه سبحانه بها لكان الناس يعيشون هماً عظيماً مقيماً لا يفارقهم ولكن رحمة اللّه سبحانه بالمؤمنين أوسع وأشمل وأعم.

... وأمام هذه المواطن الرهيبة، ما علينا إلا أن نعمل لها في الدنيا ونستعد بالعمل الصالح والطاعات والقربات إلى اللّه سبحانه، وقد بيَّنَّا في أجزاءٍ سابقة ما للأعمال الفاضلة من أثر عظيم في كل موطن من مواطن الآخرة، فالصلاة والصيام والحج والزكاة والصدقات والمعروف والبر والتقوى والعدل وقراءة القرآن الكريم وإيتاء النوافل ومحبة اللّه ورسوله والمؤمنين، كل واحدة منها تعز صاحبها في يوم لا ينفع مال ولا جاه ولا سلطان ولا مقام عز في الدنيا، فقد خاب من حمل ظلماً، ونجح وأفلح كل من جاء بكتابه مليئاً بالخير والحسنات والقربات.

. . . فالدنيا دار امتحان وابتلاء من أجل الآخرة، ويخطئ من يظن أنها دار السعادة. . بل هي محطة عبور للآخرة، وقد شبَّهها رسول اللَّه ﷺ برجل استظل في ظل شجرة ثم ارتحل.

. . . وأمام حقائق الآخرة علينا أن نعتبر وأن نعمل للآخرة عملها، وعلينا أن نتنافس في الطاعات ليكون لنا المقام الأمين عند رب العالمين، فالدنيا لا تعدل عند اللَّه جناح بعوضة، ولو يؤاخذ اللَّه الناس بأعمالهم لما ترك عليها من دابة تسعى. . نعمل ونعمل حتى لا تعترضنا الحسرة ولا يؤلمنا الندم، في يوم لو افتدى الكافر والظالم بملء الأرض ذهباً لَمَا تُقُبِّل منه. . . في هذا الجزء قدّمت ما استطعت ولكن من واقع الضعف الإنساني وقلة علم البشرية، فأرجو من اللَّه أن يسامحني بما أخطأت، وأن يأجرني بما أصبت، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيامة وفي ميزان حسنات كل من عمل على إخراج هذه الموسوعة وسعى في نشرها وطبعها وتوزيعها، ونصح الناس باقتنائها وقدّم لها وأعانني فيها ـ وصدق اللَّه سبحانه إذ يقول:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

واللَّه من وراء القصد ولا حول ولا قوة إلا باللَّه والحمد للَّه رب العالمين.

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنَّة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ + ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللّه تعالى.
١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.
٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.
٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.
٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.
٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.
٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.
٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.
٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.
٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.
٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.
٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.
٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.
٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.
٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.
٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.
٣٦ ـ البعث والنشور.
٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللَّه سبحانه.

٣٩ ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ ـ النار أهوالها وعذابها.

٤١ ـ جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن التِّرمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجهْ.
٨ ـ سنن النَّسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جَرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر ـ دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفَرَج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللّٰه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللّٰه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللّٰه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

سلسلة

موسوعة الآخرة

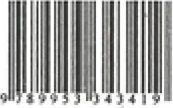
هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر




ISBN 9953-34-341-1
9 789953 343419